



آسیب از جنگ اسرائیل



Princeton University Library



32101 073528125

VAR-8849.

وزارة الارشاد القومي
مصلحة الاستعلامات

United Arab Republic. Maṣlahat al-Itidāmāt.
"

أسرار حرب السويس

٢٩ - أكتوبر ١٩٥٦
٥ - نوفمبر ١٩٥٦

(Arab)

DT107

83

A3915

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« إن المعركة المجيدة مكّنت شعبنا من
أن يكتشف قدراته وإمكانياته .
وبالتالي يوجه هذه القدرات
والإمكانيات ثوريا لتحقيق الحرية . »
جمال عبدالناصر

إن شعبنا بعد عشرات السنين من الاستعمار
فاز بـارغام القوى العدوانية على الجلاء مرتين
في عام واحد هو عام ١٩٥٦ الفاصل في نصبالنا الوطني
إن الاستعمار الذي جلا عن أرضنا - طبقاً لاتفاق
تم تنفيذه في يونيه سنة ١٩٥٦ - ما لبث أن عاد في
أكتوبر من نفس العام متصوِّراً أنه قادر على
إخضاع إرادة شعبنا وإذلاله وإجباره على
الركوع خضوعاً لإرادة المستعمرين

إن شعبنا الذي عقد العزم على حماية استقلاله
ورفض كل الحيل الاستعمارية التي حاولت أن تجره
إلى مناطق النفوذ وقاد مقاومة هائلة في الشرق
الأوسط كله ضد حلف بغداد حتى أسقط لم يتردد
في مواجهة العدوان المسلح الثلاثي الذي أقدمت
عليه اثنتان من دول العالم الكبرى زحفت عليه من
القاعدة الاستعمارية التي خلقها المؤامرات الرامية إلى
إرهاب الأمة العربية وتمزيقها وهي إسرائيل
إن الاستعمار في معركة السويس كشف نفسه
وكشف قواعده وكشف أعوانه "الميثاق"

أسرار حرب السويس

غروب يوم الاثنين ٢٩ أكتوبر عام ١٩٥٦ وضوء النهار يتضاءل ويشحب فوق سيناء ، لينتهى يوم آخر عادى لم تتخلله أحداث مثيرة اللهم الا ملاحظة سجلتها شاشات الرادار المصرية أضافتها الى ما كانت تسجله منذ بداية أكتوبر .

فمنذ بداية أكتوبر كانت محطات الرادار المصرية بسيناء تسجل حركة متزايدة للطائرات على الجانب الآخر من خط الهدنة ، في داخل اسرائيل . . وفي يوم ٢٩ أكتوبر التقطت شاشات الرادار صورة ست طائرات اسرائيلية من طراز مستير وهي تخترق سماء سيناء . . وبعد غروب الشمس بساعات قليلة جاءت الأحداث المثيرة .



تحركت قوات اسرائيلية بأعداد كبيرة في اتجاه الحدود الأردنية . ثم سرعان ما حولت اتجاهها نحو صحراء سيناء بينما كانت قوة أخرى من المظلات الاسرائيلية تهبط في جوف سيناء بعيدا عن خط الهدنة فوق ممر متلا المصري .

كان معنى ذلك ان اسرائيل بدأت عسكريا ضد القوات المصرية في سيناء .

وبعد غروب ٢٩ أكتوبر بخمسين ساعة وأيضا بعد غروب الشمس بساعات قليلة . جاءت أحداث أخرى . . ولكن مكانها هذه المرة كان في سماء القاهرة ليلة ٣١ أكتوبر - وبدأت في ضرب المطارات المصرية بالقنابل . ووضح كل شيء . . كانت مصر أمام العدوان . . تواجه حربا تشنها ثلاث دول . . تلك كانت البداية الواضحة للعدوان الثلاثي على مصر . . لكن ؟

هل كان يوم ٢٩ أكتوبر عام ١٩٥٦ هو البداية الحقيقية لحرب السويس هل كانت بداية العدوان ليلة اجتياز القوات الاسرائيلية لحدود سيناء ؟ هل كان دافع بريطانيا وفرنسا هو الفصل بين القوات المصرية والقوات الاسرائيلية لحماية السفن المارة بقناة السويس ؟

يمكن أن يقال للرد على هذه التساؤلات . لكن التاريخ العربي لحرب السويس يروى بداية بعيدة لأحداث السويس . يقول التاريخ العربي « لحرب العدوان الثلاثي » وهو الاسم الذي يعرف به حرب السويس .

« لم يكن قرار تأميم قناة السويس سوى ذريعة ملائمة . امسك بها الاستعمار وضخمها ، ليس الآن التأميم هدد الملاحة الدولية في هذا الممر ، بل لأن نية العدوان كانت مبيتة منذ زمن يرجع تاريخه الى ما قبل التأميم » .

※

※ ※

اذن كان من المتوقع بدء العدوان على مصر في زمن يسبق التأميم .. كيف ؟ ..

يقدم التاريخ العربى لحرب السويس اجابة واضحة بقوله :
« يدرك المطلع على احداث الشرق الأوسط في أوائل عام ١٩٥٦ أن عدوانا ثلاثيا كان مقررا له أن يتم في شهر مارس من ذلك العام ، أى قبل تأميم شركة قناة السويس بأربعة شهور » .
معنى ذلك أن عدوانا على مصر كان يدبر قبيل التأميم .. ويكمل التاريخ العربى موضحا تفاصيل ذلك العدوان الذى لم يتحرك محددا زمنه بقوله :

« ان العالمين ببواطن الأمور حددوا له توقيتا هو يوم ٢٠ مارس بالذات » .

ان ذلك يعنى أن العدوان الذى بدأ ضد مصر ليلة ٢٩ أكتوبر ثم استكمل حلقاته ليلة ٣١ أكتوبر .. هذا العدوان كان سيتحرك من قبل ٢٠ مارس عام ١٩٥٦ .

اذن لم يكن التأميم هو الدافع الوحيد للعدوان على مصر وايضا لم يكن الدافع الوحيد هو انتزاع الدجاجة التى تبيض ذهباً لحملة الأسهم فى لندن وباريس . لقد كانت هناك دوافع أخرى وراء أحداث غروب أيام أكتوبر الأخيرة .. هذه الدوافع هى نفسها التى كانت ستتحرك العنف ضد مصر مع ربيع عام ١٩٥٦ .. فما هى هذه الدوافع التى توارت وراء المبررات - التى ردها ايدن وموليه وبن جوريون - فى أكتوبر ؟ ماذا كانت دوافع عدوان مارس الذى لم يتحرك ؟

يقول التاريخ العربى للسويس هذه الفقرة :

« فى خلال هذا الشهر (أى مارس) زادت درجة التوتر لدى المسؤولين فى لندن وباريس وتل أبيب ووصل بهم الكمد ذروته اثر ثلاثة أحداث جسام كان كل حدث منها لظمة قوية لاحدى هذه الدول » .

فما هي هذه « الاحداث الثلاثة الجسام » التي أوصلت دول العدوان الثلاثي - بريطانيا وفرنسا واسرائيل الى فكرة استخدام القوة ضد مصر ؟

لقد روت اكوام الكتب التي ظهرت عن حرب السويس اقاصيل عن واقع كل دولة من الدول الثلاث . لكن التاريخ العربي يركز على أحداث معينة جرت في مارس عام ١٩٥٦ ، كان مسرحها الأرض العربية ..

ففي بداية مارس خسرت بريطانيا جنرالها « الحارس لسياستها العربية » المقيم بالأردن . وهو الجنرال جلوب المشرف على الفيلق العربي .. فقد اذيع نبا اقالته من منصبه ، بينما كان سلوين لويد وزير الخارجية البريطانية يزور القاهرة . وجاء نبا الاقالة وهو مجتمع بالرئيس جمال عبد الناصر . ثم سافر لويد الى البحرين يكمل رحلته في الشرق الاوسط . وكانت في انتظاره بالبحرين أحداث من نوع آخر . فقد كانت في استقباله مظاهرات عنيفة .. وكانت تحية شعب البحرين له تتمثل في القاء قطع الاحجار على موكبه .

وهذا ما يخص لندن من أحداث مارس . فماذا عن باريس ؟

ايضا مع مارس .. وبعد زيارة سلوين لويد للقاهرة ، جاء بينو يحمل فكرة معينة ليعرضها ، كان يأمل في اقناع القاهرة بوقف مساعدتها للثورة الجزائرية .. مشكلة فرنسا رقم واحد (وقتها) وعندما سافر بينو كان يحمل ردا واضحا من الرئيس عبد الناصر على مطلبه .. كانت الاجابة التي سمعها بينو « أن تخلى مصر عن الوطنيين الجزائريين يعنى أن تخلى عن قوميتي العربية » لكن بينو لم يتفهم عمق هذه الاجابة ، فقد غادر القاهرة « يحمل بين جنبه حقدا مريرا » على حد تعبير التاريخ العربي . قربت أحداث مارس بين نظرة لندن وباريس الى القاهرة ، وبدأتا تفكران في عمل تجاه القاهرة .

وجاءت هذه الخطوة في لندن .. في يوم ١١ مارس ، سافر جى مولييه رئيس الوزراء الفرنسى ليجتمع بالسير انطونى ايدن رئيس الوزراء البريطانى . وفي هذا الاجتماع تبلور اتجاه فرنسى بريطانى ضد مصر . ففي هذا الاجتماع تم الاتفاق على :

« انتهاج سياسة فرنسية بريطانية مشتركة تتسم بالشدة ضد مصر » ..

وكانت نقطة البداية في تفكير لندن وباريس في استخدام « الشدة ضد مصر » بعد أحداث طرد جلوب ومظاهرات البحرين ثم تجربة بينو في القاهرة .

فما الذي حفز اسرائيل الصغيرة للتفكير في مغامرة عنف مع مصر ؟
لم يكن حدثا معيناً جرى في مارس هو الذي حرك روح المقاومة لدى سياسة اسرائيل . ولم تكن فكرة العنف وليدة أحداث الربيع في الشرق الأوسط كما كان الحال في لندن وباريس ، وانما ولدت فكرة العنف في أذهان انساسة الاسرائيليين منذ عدة اشهر سابقة على مارس وبتأثير أفكار جديدة لبن جوريون .

ولتحفظ مبدئي فلم تكن فكرة العنف بجديدة على الفكر السياسي والعسكري في اسرائيل . فمنذ نشوء هذه الدولة غير الشرعية ظهر جناح قوى داخل السياسة الصهيونية يؤمن بالعنف كوسيلة لخلق اسرائيل ثم كوسيلة للبقاء عليها وسط بحر العرب يحيط بها . وقد ضم جناح العنف بن جوريون كأبرز شخصياته وأكثرهم تأثيراً ، وقدم هذا الجناح بعد اغتصاب فلسطين فكرة « الاغارات الانتقامية » كأسلوب تعامل به اسرائيل مع جيرانها العرب حتى تحقق هدفها في البقاء وتجبر الدول العربية على الصلح . وظلت هذه الفكرة هي السائدة حتى خريف عام ١٩٥٥ بينما كان ابن جوريون قد غاب بعيداً في عزلة اختارها لنفسه في قرية صغيرة ولكن ابن جوريون عاد الى ميدان السياسة في هذا الوقت يحمل تطويراً جديداً لأسلوب استخدام العنف مع العرب .

فقد خرج من عزلته بمستعمرة « سدية بوكر » يعلن انتهاء الظروف التي جعلت من أسلوب « الاغارات الانتقامية » وسيلة لتحقيق الصلح مع العرب مقدماً فكرة متطورة لاستخدام العنف مع العرب ولكي يروج بن جوريون لفكرته المتطورة في استخدام العنف ، قدم حجتين :

كانت حجته الاولى ترى ان الظروف الملائمة لأسلوب الاغارات الانتقامية التقليدية قد تغيرت . فقد اعتمدت فكرة الاغارات على ضعف أسلحة العرب وتفوق اسرائيل في التسليح ، لكي ترسل اسرائيل فجأة وباعداد متفوقة قوة تهاجم موقعا عسكريا او منطقة داخل الاراضي العربية . . تقتل من تصادفه وتدمر ما تجده من منشآت ثم تتراجع القوة الاسرائيلية عائدة . وكان الاعتقاد السائد لدى اسرائيل ان تكرار هذه الاغارات وازدياد الخسائر التي تحدثها ستجبر الدول العربية في النهاية على الصلح . ولكن

بن جوريون أعلن أن حصول مصر على سلاح حديث من تشيكوسلوفاكيا قد أسقط شرط نجاح الاغارات الاسرائيلية وهو ضعف تسليح العرب ومصر خاصة . ولذلك فقد أوضح بن جوريون أن الموقف يحتاج من اسرائيل الى التفكير في عمل أكبر ضد مصر من الاغارة ويتم في زمن قريب قبل أن يكمل الجيش المصري تدريبه على السلاح الجديد ويضيع أمل اسرائيل في اجبار العرب على الصلح والاعتراف بها .

وبجانب حجة « الصلح الذي لن يتحقق » بعد أن تقوى مصر نتيجة لحصولها على أسلحة جديدة .. قدم بن جوريون مصر كأنها العائق أمام حياة اسرائيل . فهي ليست عائقا أمام الصلح فقط . وانما هي أيضا تقف أمام تحقيق فكرة « أرض الميعاد » فالمدافع المصرية المنتصبة على مدخل خليج العقبة تمنع حركة السفن الاسرائيلية التي ستحمل مصنوعات اسرائيل الى أسواق افريقيا وآسيا ولذلك فلا بد من عمل أكبر ضد مصر يجب أن تقوم به اسرائيل لتواجه كل هذه الظروف .

ان مصر هي الخطر على اسرائيل بسلاحها الجديد . وان مصر هي العقبة أمام تحقيق فكرة أرض الميعاد بوجود مدافعها على مدخل خليج العقبة .. وبهذه الأفكار خرج بن جوريون من عزلته في خريف ١٩٥٥ يروج لفكرته المتطورة فكرة « جولة أكبر ضد مصر » من الاغارات التقليدية . وسريعا قادته هذه الأفكار ليصبح وزيرا للدفاع بحكومة اسرائيل .

وبتوليته هذا المنصب ظهرت أولى خطط اسرائيل لشن حرب ضد مصر في تاريخ يسبق مارس بما يقرب من نصف عام . وانتقلت افكاره المتطورة الى خبر الاعداد العملى في يوم ٢٣ اكتوبر عام ١٩٥٥ .

في هذا اليوم اجتمع بن جوريون (بصفته وزيرا للدفاع) وموشى ديان رئيس الاركان الاسرائيلية . وتم هذا الاجتماع في مكان بعيد عن المكاتب الرسمية لوضع خطة الحرب ضد مصر ووقع الاختيار على غرفة بفتندق (هاناسى) بالقدس المحتلة .

وفي اجتماع غرفة هاناسى أصدر بن جوريون توجيهاته لموشى ديان عن فكرته عن الحرب التي يريدتها مع مصر فقد تخيل بن جوريون « جولة أخيرة بين اسرائيل والعرب ، تتحقق » بايقاع هزيمة نكراء بالقوات المسلحة المصرية بسيناء ، وعندما تهزم مصر ، تصبح أمام حل واحد . وهو توقيع

وثيقة الصلح . ووقتها لا تجد الدول العربية الأخرى سوى التسليم وتتبع مصر . وتحقق إسرائيل هدفها الدائم وهو الحصول على اعتراف العرب بها . واطلق بن جوريون على فكرته اسم « اسم الحرب الوقائية » وكان على موسى ديان - بصفته رجلا عسكريا عليه تحويل هذه الأفكار الى خطة عسكرية ، تتحرك طبقا لخطوط القوات الاسرائيلية التي ستهاجم سيناء .

وعندما تخيل موسى ديان هذه المعركة . تخيل قوات إسرائيل تتقدم من جنوب شرق إسرائيل الى داخل الأراضي المصرية وتتوغل قوة الهجوم داخل سيناء متقدمة في شكل « سنارة صيد » يبدأ طرفها المستقيم من جنوب شرق إسرائيل . أما طرف « السنارة » من نهايتها الأخرى فيتجه بصعود نحو الشمال الغربي ، في اتجاه مدينة العريش المصرية . وبينما تحيط هذه القوات المهاجمة بالقوات المصرية بسيناء ، تهبط قوة اسرائيلية أخرى من الجو ومن البحر غرب مدينة العريش . وتقع القوات المصرية في الشرك . .

تصبح القضيبة المطلوب تليينه « بمطرقة » تمثلها قوة الهجوم الاسرائيلية المتقدمة أرضا بينما يكون « السندان » هو القوة الهابطة من الجو والبحر غرب العريش .

ولاعطاء أهمية لهذه الجولة الأخيرة مع العرب سميت خطة الحرب التي يخطط لها موسى ديان بالخطة « قادش » وترجمتها للغة العربية يصبح اسمها « الخطة المقدسة » .



كان لاطلاق هذه التسمية على الخطة مفزى مقصود به اضعاف غلالة سحرية على فكرة الحرب . فاسم قادش له قصة في التاريخ القديم ترجع الى ايام النبي موسى . فعندما خرج موسى من مصر مهاجرا باليهود من أرض جوشن أو جاشان بالعبرية أو منطقة تل بسطة (ما بين الاسماعيلية والزقازيق) . وقتها نظر موسى الى أرض فلسطين الذاهب اليها ، ثم عبر البحر الأحمر الى ساحل سيناء مختارا طريقا مهجورا ليسر فيه . ووصل موسى الى وادي فيران ثم تشتت اليهود في متاهات الصحراء بسبب عصيانهم كلام النبي موسى . وبعد أربعين عاما من التشريد قادهم يوشع بن نون مرة أخرى قاصدين فلسطين . وعندما وصل يوشع الى مشارف فلسطين صادف عين ماء كانت تسمى عين

قدیس غیر اسمها وأطلق علیها (عین قودش) أو العین المقدسة بالعبرية .
وعندما تاهب لمعركة فاصلة مع حکام فلسطين .

وتکمل اقصوصة فدين ما حدث لیوشع فقد اختار لجماعته مواقع
للمعركة .. ووراء ظهورهم الصحراء الموحشة .. بينما یرون امامهم وعلى
بعد وديان فلسطين الخضراء وبساتینها لیحفزهم على الاستماتة فی
القتال ، وهم یرون الأرض الخضراء بخیراتها امامهم .. وأیضا عندما
اختار موشی ديان اسما لخطة الحرب مع مصر اختار لها اسم العین التي
حارب عندها یوشع .. واسمى خطته بالخطة قودش أو قادوش أو
الخطة المقدسة بالعبرية لیکسب الخطة کل ما یتحملة هذا الاسم من
ذکریات قديمة .

وضمت الخطة المقدسة بعد اجتماع غرفة فندق هاناسی بالقدس
المحتلة .. وظهرت بشکلها النهائي تتضمن ملحقين (ا ، ب) .. وخصص
الملحق (ا) لتقرير المخابرات الاسرائيلية . ولضمان سریتها لم یطبع
منها سوى ١٢ نسخة فقط ، وحددت الهدف وأسلوب تنفیذه كالآتی ،
طبقا للنص الحرفی للخطة .

» تحتل قوات جيش الدفاع الاسرائیلی شمال سیناء .

أما الجزء الآخر من الخطة فیتضمن تحديدا للوحدات العسكرية
الاسرائيلية التي ستکلف بالهجوم على مصر ، والوحدات التي ستقوم بمهام
الدفاع فی مناطق اسرئیل الأخرى . كما یحدد لقوات الهجوم مهامها .
وقد جاءت هذه التفصیل تحت تعبير (عام) كالآتی :

(ا) ینفذ احتلال شمال سیناء بواسطة القيادة الجنوبية بقوة ٦ ألوية
من المشاة و٣ ألوية من المدرعات .

(ب) تدافع کل من القيادة الوسطی والشمالية عن مناطقها بالقوة الآتية :
١ - قيادة الشمال - ٢ لواء مشاه + كتیبة مشاه ، ٢ كتیبة
مدرعات ، وکتیبة من حرس الحدود ، وکتیبة القيادة
المدرعة .

٢ - قيادة الوسط : ٢ لواء ، مشاه + كتیبة ، ٤ كتائب مدرعة
و ٢ كتیبة من حرس الحدود ، كتیبة القيادة المدرعة .

(ج) یحتل لواء مشاة المظلات ٢٠٣ العریش بالهبوط أو النزول .

(د) یبقى ٢ لواء مشاه كاحتیاطی للقيادة العامة .

وبالنسبة لتنفيذ هذه الخطة فقد قسمت الى ثلاث مراحل یتم
بتنفيذها تحقیق الغرض كما تخيله بن جوریون وموشی ديان .

« في المرحلة الاولى ، وتبدأ بيوم الفوز (ع متى ع + ١) ومعناها من يوم بدء الهجوم على سيناء وتستمر ليوم واحد خلاله تقوم القوات الاسرائيلية المهاجمة باحتلال شمال سيناء حتى خط العريش - جبل لبنى - بير الحسنة - نخل ، مع استمرارها في التقدم خلال هذه الفترة .

« وفي المرحلة الثانية (عوع + ١ ، ٤ + ٢ ، ع + ٣) وهي تستمر حتى اليوم الثالث للهجوم وخلالها تتقدم القوات الاسرائيلية عبر القناة وتنتهي تطهير قطاع غزة .

« وفي المرحلة الثالثة تقوم القيادة الجنوبية الاسرائيلية باحتلال مضائق خليج العقبة .

حملت الخطة المقدسة توقيع راف الوف موسى ديان (اسمه بالكامل) رئيس هيئة الأركان العامة الاسرائيلية .

وذهب أكتوبر من عام ١٩٥٥ وجاء نوفمبر وازدادت قوة أنصار الحرب في اسرائيل . فقد ذهبت وزارة شاريت - التي شغل بن جوريون بها منصب وزير الدفاع - وأصبح بن جوريون المسؤول الأول بالوزارة الاسرائيلية ، وأصبح في قدرته اصدار الأوامر لتنفيذ أفكاره الجديدة عن (الحرب الوقائية) التي قدمها كاجراء ضرورى لاجبار العرب على الاعتراف باسرائيل .. ولكن بالرغم من حماس بن جوريون وهو يترك عزله في قرية سرية بوكر .. وبالرغم من منصبه كرئيس للوزارة بكل سلطات ونفوذ هذا المنصب . بالرغم من هذا كله فلم يصدر بن جوريون أوامره ليبدأ موسى ديان حربه المقدسة .

لماذا

هل تراجع بن جوريون عن خطته بعد أن أصبح رئيسا للوزارة ؟ أم أن هناك سببا آخر ؟

الحقيقة .. أن بن جوريون كان يبحث عن مبرر للعدوان .

ففي البداية .. عندما اجتمع بن جوريون وموشى ديان في غرفة هاناسي في أكتوبر ١٩٥٥ كان بن جوريون يعتقد أن لديه حجة مناسبة لتبرير هجومه المنتظر مستندا الى ما يجرى عند مداخل خليج العقبة . وكان يرى أنه يمكن تبرير العدوان على أساس أن مصر تمنع مرور السفن الاسرائيلية بمياه الخليج . كما أنها لا تسمح لطائرات شركة آل عال الاسرائيلية بالتحليق فوق مياه الخليج .

لكنه بعد نوفمبر لم يصدر أمر التنفيذ لأنه وجد أن حجته في المرور بمياه خليج العقبة ليست (بالحجة المتناسكة) . فحتى الجانب القانوني

من حجته لا يقدم فيه القانون الدولي نصوصا واضحة تجمع على رأى واحد يفسر حق الملاحة فى البحار المغلقة مثل الخليجان .

كان هنالك عامل آخر اجبر بن جورىون على التأجيل وهو يرقب ما يدور خلف خط الهدنة مع مصر .

فمع نهاية عام ١٩٥٥ تغير الموقف على خط الهدنة بين اسرائيل وسيناء .. فقد أصبحت كل غارة اسرائيلية تهاجم موقعا بسيناء تجد وراءها ردا سريعا من مصر يتجاوز خط الهدنة الى داخل اسرائيل . وتعرضت اسرائيل للانتقام هجمات الفدائيين الذين تنظمهم مصر . بينما كانت القوات المصرية تستكمل تدريباتها على السلاح الجديد . وهكذا وجد بن جورىون ان مخاوفه التى حفزته لفكرة شن حرب على مصر قبل أن تقوى .. هذه المخاوف التى حركته قد تحققت فعلا ، وازدادت قوة الجيش المصرى .

ومقابل هذه التطورات ظهرت امام بن جورىون مطالب جديدة ليتمكنه تنفيذ خطته المقدسة .

كان على اسرائيل ايجاد حليف اما لتعمل ضد مصر .. حليف يعطيها ضمانا بالحماية من انتقام مصر .. ويزودها بالسلاح بكمية اكبر ..

ولم يجد بن جورىون هذا الحليف الذى يشاركه افكاره الهجومية على مصر فى ذلك الوقت .. فى نهاية عام ١٩٥٥ .. لكنه بعد عدة أشهر وجد الحليف الذى يمكن ان يشاركه فى مغامراته ..

لقد وجد بن جورىون ضالته المنشودة فى شخص ايدن وجى موليه اللذين دفعتهما أحداث الشرق الأوسط الى اتخاذ قرار باتباع (سياسة الشدة مع مصر) فى اجتماع ١١ مارس .

ولم يكن حنق ايدن وموليه على القاهرة بسبب أحداث مارس عام ١٩٥٦ فقط ، بل كانت أحداث مارس هى نقطة فاصلة فى موقف الدولتين تجاه مصر ، بعد أحداث توالى فى سنوات سابقة .

.. ويعبر التاريخ العربى عن هذه التعارضات فى السياسات باستخدام تعبير (خط التصادم) . أى القضايا التى اظهرت تعارضا بين ما تراه القاهرة وما تراه لندن وباريس .

وبالنسبة لنقط التصادم بين القاهرة ولندن .. كانت القصة تتضمن عدة نقاط تصادم .. بدأت اولها باصرار القاهرة على جلاء القوات البريطانية

بلا شروط وبلا قيود تشدها الى الاحلاف . ثم ظهرت نقطة التصادم الثانية بمعارضة القاهرة لكل محاولة لجرحها الى مجال حاف .. ومن معارضة القاهرة للأحلاف اصطدمت القاهرة ولندن في « نقطة ثالثة » عندما عارضت القاهرة حلف بغداد الذى تبنته بريطانيا . وعندما تحملت مصر مسئولية دورها القومى كجزء من الامة العربية وتصدت للدفاع عن القضايا العربية في المؤتمرات الدولية .. أوصل هذا الدور علاقات مصر وبريطانيا الى « نقطة تصادم رابعة » .. ثم جاءت ذروة الصدام عندما اشترت مصر السلاح من الشرق .

وبالنسبة لفرنسا لم تكن دوافعها مماثلة تماما لبريطانيا التى عارضت محاولة مصر بناء شخصيتها القومية المتحررة .. حقيقة سببت سياسة مصر المتحررة متاعب أمام السياسة الفرنسية بتبنى القاهرة لقضايا تونس والجزائر والمغرب أمام مؤتمر باندونج .. ولكن نقطة التصادم الرئيسية .. كانت الجزائر التى ارتكب بشأنها جى موليه خطيئته الكبرى .

ولكن كيف تم جمع الساخطين الثلاثة في عمل مشترك ضد مصر ؟ كيف تم اللقاء بين لندن وباريس من جهة وبين اسرائيل من جهة أخرى ؟

في السياسة كما في حياة الناس اليومية رجال يلعبون دور الوسطاء لتسهيل أمر معين . وفي تلك الفترة المبكرة لعب جى موليه رئيس الوزراء الفرنسى هذا الدور ليربط الحلقات بين الدول الثلاث .

فبعد اجتماع لندن في ١١ مارس .. تم اجتماع آخر في باريس بين جى موليه وبين يعقوب تسور السفير الاسرائيلى في باريس .. وارتبطت الحلقات بين الدول الثلاث ، وبدأت تتضح المؤامرة التى ستوجه ضد القاهرة في مارس .

يصف التاريخ العربى للسويس اجتماع باريس بين جى موليه والسفير الاسرائيلى .. فيقول :

« بعودة جى موليه من لندن ، تم اجتماعه بالسفير الاسرائيلى في باريس . اتصلت حلقات محور العدوان الثلاثى .. لندن - باريس - تل أبيب . وشكل مسيو جى موليه همزة الوصل في هذا المحور .. وأصبح مفهوما منذ ذلك اليوم أن اسرائيل اذا شنت حربا وقائية فلن تقف وحدها .. بل ستدبر لها وسيلة ماثوية لتدخل بها كل من فرنسا وانجلترا » .

ولقد كانت هناك الوسيلة ليتم هذا كله في مارس ١٩٥٦ ... فقد دبوا الحجة التى ستتدخل بها بريطانيا وفرنسا ضد مصر .

كان لدى اسرائيل خطتها المقدسة المعدة للهجوم على الجيش المصرى فى
سبيل . ولكن بدايتها كانت تجرى بشكل آخر بعيدا عن حدود مصر . . كان
على اسرائيل ان تهاجم الاردن . وعندما تقدم مصر وسوريا العون للاردن
اصد الهجوم الاسرائيلى . . ياتى دور بريطانيا وفرنسا للتدخل فى الموقف
باسم الاتفاق الثلاثى لعام ١٩٥٠ . ويهاجمان الجيش المصرى ويدمران اسلحته
الجديدة .

كانت هذه هى الذريعة التى ستشارك بها بريطانيا وفرنسا فى عدوان
عام ١٩٥٦ . . كانت حجتها للوقوف بجانب اسرائيل تصريحاً قديماً صدر فى
عام ١٩٥٠ . . فى هذا التصريح اعطت الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا
لانفسها حقاً غريباً . . هو صفة الحارس للنظام بين اسرائيل والدول العربية
وصفة رجل البوليس الذى يتدخل لفض اى شجار .

ولم يعرف العالم بهذا العدوان لانه لم يتحرك فى ربيع ١٩٥٦ بسبب
ظروف واجهته . . كان اولها حاجة اسرائيل الى اسلحة ومعدات حديثة
وخاصة الطائرات والدبابات لتكون قادرة على الحركة ضد مصر .

وكانت بريطانيا لها ظروفها الخاصة بها التى تعرقل دورها فى الثار ضد
مصر . . كانت لها بعض الوحدات العسكرية فى منطقة القناة ترحل على فترات
طبقاً لاتفاقية الجلاء وكان موقفها حرجاً فقد تضمنت الاتفاقية نصوصاً تقيم
تعاوناً بينها وبين مصر . بينما هى تتأهب لعمل ضد مصر .

ثم اقدمت الولايات المتحدة على حركة مفاجئة عرقلت تحرك مؤامرة
باريس . . عندما دعت مجلس الامن لمناقشة الوضع فى فلسطين . . بينما
كانت دول التآمر الثلاث تعتقد ان الخلاف بين مصر والغرب قد وصل المرحلة
التي يضمنون فيها وقوف امريكا معهم ولو كدور المشجع .

وتحت ضغط هذه الظروف توقف عدوان مارس عند حد التفكير والاعداد
النظري لخطته . . ولم يتحرك ضد مصر .

ووقعت احداث مثيرة بعد هذا التاريخ . .

— سمحت امريكا لكندا ببيع طائرات نفثة من طراز سابى الى اسرائيل .

— اعترفت مصر بالصين الشعبية فى ١٦ يوليو .

— فى ١٩ يوليو سمحت امريكا عرض تمويل السد العالى .

— امنت مصر قناة السويس فى ٢٦ يوليو وتكهرب الجو . . توترت العلاقات

بين مصر والغرب . . واعتبر الشركاء الثلاثة ان فرصتهم لاحت لهم مرة

اخرى .

كيف مضت الاحداث بعد ذلك . . .

لماذا ألغيت خطة غزو الإسكندرية قبل موعد التنفيذ بـ ٢٤ ساعة فقط

ان كل الاقاصيص التى تروى لحظات سماع ايدن خبر التأميم تجمع على أن سكرتير ايدن الخاص دخل قاعة مادبة العشاء .. وسلم ايدن ورقة مكتوبا عليها خبر التأميم وقام ايدن ببلاغ الخبير لضيوفه .. ولكن ما حدث بعد ذلك يختلف عليه الرواة .. هناك قصة الكاتب الكندى روبرتسن .. وهى تشير الى أن ايدن استأذن من ضيوفه مع سلوين اويد ولورد هيوم ليرأس اجتماعا عاجلا لمجلس الوزراء .. بينما يروى الكاتب الفرنسى هنرى ازو رواية أخرى اكثر إثارة .. فهو يقول ان ايدن بعد أن قرأ الرسالة التى حملها سكرتيره الخاص ، اتجه الى نوري السعيد يسأله عما يجب أن يكون عليه الرد على ناصر .. وأجابه نوري السعيد باجابة محددة « اضربه ، اضربه بشدة اضربه الآن » .

ثم تتماثل الروايات فى سرد ما حدث بعد اللحظات الأولى لسماع ايدن بالتأميم .. فقد ظل ايدن يتراس الاجتماع الطارئ لمجلس الوزراء حتى ظهر نور الصباح التالى .. الجمعة ٢٧ يوليو ووقتها كان ايدن قد فكر جديا فى ضرورة ضرب مصر ، منتهزا فرصة التأميم كذريعة يبرر بها أفكاره ..

ويقول التاريخ العربى لحرب السويس :

« فى صباح يوم ٢٧ يوليو ، أى فى اليوم التالى لإعلان مصر تأميم شركة القناة .. اصدر السير انطونى ايدن رئيس الحكومة البريطانية أمره لرؤساء أركان الحرب البريطانيين بوضع خطط العمل العسكرى المطلوب ضد مصر .. فماذا كانت خطة ايدن لغزو مصر ؟ »

تعددت الخطط التى أعدت منذ هذه اللحظة لغزو مصر .. ففى البداية كانت الفكرة البريطانية تستهدف العمل بشكل منفرد ضد مصر . مع اعطاء فرنسا « دور شكلى » لو أرادت المشاركة فى العمل ، باشراف مجموعة من قواتها الرمزية فى خطة غزو مصر . بينما تكون قوة الهجوم الرئيسية بريطانية .

وقدم القادة البريطانيون خطة مبدئية للغزو سميت باسم « العملية ٧٠٠ » قامت على أساس توجيه حملة الغزو الى الاسكندرية ليبدأ منها غزو مصر ، ثم يمتد الهجوم من الاسكندرية الى القاهرة لاحتلالها . بعد أن يتم تدمير الجيش المصرى فى معركة تجرى ما بين الاسكندرية والقاهرة .

وعرضت خطة « العملية ٧٠٠ » على ايدن مشفوعة بمبررات اختيار الاسكندرية كهدف يبدأ منه غزو مصر .. فقد رأى القادة البريطانيون ان الاسكندرية كميناء بحرى تعتبر اصلح لسفن الحملة من بورسعيد .. كما ان اختيارها لنزول قوة الغزو يحقق ميزة اضافية ، وهى امكان الاستفادة من الفرقة العاشرة البريطانية التى تحتفظ بها بريطانيا فى قواعد ليبيا وهى فرقة قوامها الدبابات مما يدعم الغزو .



ولكن اذا كانت هاتان ميزتين لاختيار الاسكندرية كنقطة ابتداء للغزو .. فقد كان اختيارها يضع ايدن امام عمل كبير .. اذ سيجد نفسه امام عملية تستلزم منه احتلال مصر كلها ، بينما كانت فكرة غزو مصر محكومة بشروط أخرى أساسية يلزم مراعاتها حتى يضمن لها النجاح . وكانت هذه ظروف أخرى يعيشها ايدن وتختلف عن الظروف التى عمل فيها زعماء وقادة بريطانيون من قبل .. أيام امبراطورية الهند ، وأيام الحملات البريطانية المتتالية على الشواطئ الافريقية فقد تغير عالم ايدن عن عالم القرن التاسع عشر .. وتغيرت الظروف التى تعمل فيها قوات الامبراطورية عبر البحار السبعة .



ان فى تاريخ أوروبا مع العالم المحيط بها أقاصيص قديمة تبين تلك العلاقة التى قامت بين أوروبا وآسيا وافريقيا .. فقد ظلت شواطئ آسيا وافريقيا تعرف أوروبا من خلال تلك السفن التى تظهر أمام الشواطئ تحمل مدافع أقوى من مدافع الشاطئ .. وتنزل جنودا يحملون سلاحا أكثر فتكا من سلاح المدافعين على الشواطئ .. لقد ظلت تلك هى علاقة أوروبا بالعالم المحيط بها منذ رحلات فاسكو دى جاما حول افريقيا ورحلات كولومبس الى العالم الجديد وحملات فريزر وسيمور على مصر فى القرن الماضى . ولقد تطورت سفينة الماضى الى علم للانزال البحرى أجادته أوروبا حتى تحافظ على علاقاتها التقليدية مع آسيا وافريقيا .. وبينما كانت مهمة سفينة الماضى هى اسكات حصون الشواطئ . اصبح علم الانزال البحرى الحديث يعطى للقائد الاوربى خطوات اسكات مدافع الشاطئ والقضاء على مقاومة الرجال المدافعين على الشواطئ ، مستغلامكانياته القوية التى تفوق امكانيات رجال الشواطئ .. وفى العلم العسكرى يسمى عامل التفوق فى السلاح والرجال باسم (عامل الجسم) فى التنفيذ .. أى ان

تكون القوة المهاجمة متفوقة على القوة المدافعة لتحصل على هدفها المطلوب ولقد كان عامل التفوق أو الحسم هو أهم ما يميز أوروبا على آسيا وأفريقيا في الماضي .

ولكنه لم يكن الشرط الوحيد فقد كان مقيدا بضرورة مراعاة عامل آخر أكثر أهمية وهو « السرعة » السرعة في العمل أى تحضير قوات الهجوم في عدة أيام ثم تحريكها بسرعة ليبدأ الغزو معتمدا على عامل الحسم والتفوق ليحصل على هدفه وبسرعة أيضا . قبل أن تتدخل الدول الأخرى وتعرقل خططه .

وكان هذا هو كل الفرق في الظروف التى واجهت ايدن ، والتى عمل خلالها من قبل رجال مثل دزرائيلى وجلادستون وتشرشل كان على ايدن أن يضع في اعتباره اعداد قوة الغزو ليست متفوقة فقط على قوة مصر وانما تتمتع بالسرعة في العمل .

وهكذا اصطلمت أفكار ايدن بأولى العقبات في تلك الايام الاولى التى تلت التأميم .

فضرورة السرعة في تحضير قوات الغزو لم يمكن تحقيقها بسهولة لعدم وجود قوات بريطانية صالحة للقتال في مناطق قريبة من مصر فالقوات البريطانية كانت موزعة بين ألمانيا وليبيا وعدن وقواعد البحر المتوسط .

والعامل الثانى .. وهو الحسم .. لا يمكن لايدن تحقيقه بسهولة امام القوات المصرية التى تمتلك دبابات حديثة وحماية جوية من أحدث النفايات . وهذا يعنى أن حملة الغزو لابد انها ستواجه بمقاومة مصرية جدية .



وكنتيجة لذلك كان على ايدن وهو يفكر في الغزو أن يعد حملة كبيرة مدعمة بالدبابات والطائرات ليواجه الاسلحة المصرية وان يعد هذه الحملة اعدادا كاملا يعتمد على كل عناصر الغزو البحرى من مشاة أسطول ، وجنود مظلات ، وسفن لحمل قوة الغزو وأسطول جنود الغزو أثناء انزالهم الى الشاطئ .. فى نفس الوقت لا يملك فيه قوات جاهزة فى البحر المتوسط تمكنه من توجيه حملة بريطانية تحقق هدفا كبيرا .. هو احتلال مصر طبقا لخطة « العملية ٧٠٠ » .

وكانت هذه عيوب فى « خطة عملية ٧٠٠ » ولذلك صرف ايدن النظر عنها ، عندما عرضت عليه يوم ٨ أغسطس بينما كانت أفكار أخرى لايدن

قد ذابت خلال الاسبوع التالى للتأميم وكان يعلق عليها آمالا كبيرة فى انجاح حملته التى ستوجه ضد مصر - فقد كان فى تخطيط ايدن دور يسند لامريكا فى هذه الحملة . وهو قيام امريكا « بحماية ظهره » وهو متجه الى شواطئ مصر ليؤمن نفسه من احتمال تدخل سوفيتى . وكان يأمل أن يقوم الأسطول السادس الأمريكى المتجول فى البحر المتوسط بدور التعضيد الخلفى « الذى يحمى ظهره » . ولكن فكرة ايدن عن التعضيد الأمريكى الخلفى « اهتمت بأحداث « المستر مورفى » المبعوث الأمريكى الذى طار الى لندن بعد التأميم . وأظهر لايدن أن امريكا قادمة على انتخابات الرئاسة ولا يمكنها أن تؤيد فكرة عمل عسكري .

وعلى عكس موقف الولايات المتحدة . وجد ايدن فى باريس حماسا متزايدا للعمل ضد مصر ، تقوم فيه بدور رئيسى . فلم تظهر باريس حماسها بمجرد عرض تقديم قوات فرنسية رمزية للاشتراك فى الحملة . وانما عرضت المساهمة بنسبة ٣ الى ٥ من قوات الحملة .

* * *

وبدا التعاون البريطانى الفرنسى .

فى يوم ٣١ يوليو شكلت لجنة لتنسيق خطط الدولتين لخدمة حملة مصر . وتم تشكيل « لجنة التخطيط المشتركة » واتفقت الدولتان على القوات التى ستقدم للحملة . وكان على بريطانيا أن تقدم ٤٥ ألف جندى و ١٢ ألف عربة ، ٣٠٠ طائرة و ١٣٥ سفينة حربية ، وكان على فرنسا أن تساهم بتقديم ٣٤ ألف جندى و ٩ آلاف عربة ، ٢٠٠ طائرة ، ٣٠ سفينة حربية .

وتقرر تشكيل قيادة مشتركة للحملة . وأسندت الى الجنرال تشارلس كيتلى (قائد القوات البريطانية فى الشرق الاوسط وعين الاميرال الفرنسى البحرى (بارجوت) نائبا له .

وعين لقيادة القوات الجوية الفايىس ادميرال ريتشموند البريطانى ثم حل محله سلاتر البريطانى وعين نائب له لانسالوت الفرنسى . وعين لقيادة القوات البرية .. هيوستوكويل البريطانى ، ونائبه جنرال بوفرى الفرنسى . ولقيادة القوات الجوية عين بارنت ونائب له بروهون الفرنسى .

واتفق على القواعد التى ستجتمع فيها قوات الغزو .. ووقع اختيار القادة البريطانيين والفرنسيين على قاعدتى قبرص ومالطة . بعد استبعاد استخدام قواعد ليبيا والدول العربية القريبة من مصر .

ولأن هاتين القاعدتين بعيدتين عن مصر فقد ظهر منذ البداية أن على قوة الغزو الاعتماد على مطارات قريبة من مصر أو استخدام حاملات الطائرات كمطارات متحركة تحمل الطائرات التي ستهاجم مصر ولذلك كان على بريطانيا تقديم ٥ حاملات طائرات من مجموع الـ ١٣٥ سفينة التي ستقدمها . وكان على فرنسا تقديم حاملتين .

وهنا ملاحظة : ففي الاجتماعات الأولى بين الجانبين الفرنسي والبريطاني ظهر تلميح الى « الشريك الطموح المنتظر إسرائيل » فقد تقدمت فرنسا بعرض اشراك اسرائيل بدور في حملة مصر . ولكن ايدن رفض الفكرة ، وعارض قبول اسرائيل كشريك . وطوت باريس فكرتها (مؤقتا) وبدأ وضع خطط الغزو الانجليزي والفرنسي لمصر .

وقدم العسكريون البريطانيون « خطتهم العملية ٧٠ » التي تهدف الى غزو مصر عن طريق الاسكندرية . . وقبل العسكريون الفرنسيون هذه الخطة ، بعد الاتفاق على تغيير اسمها ليصبح (هاميلكار) وكان الاسم (هاميلكار) يحمل صفة التفاؤل الذي حملته خطة بن جوريون المقدسة فالاسم هاميلكار لقائد قرطاجنى مشهور بغزواته . وكان الشريكان يطمعان في نفحة من تاريخ هاميلكار توصلهما الى مصر ، ويستعيدان بهما نفوذهما الزائل على الشرق الأوسط .

وانتهى العسكريون البريطانيون والفرنسيون من وضع خطة هاميلكار في الاسبوع الثانى من أغسطس وطلبوا فترة استعدادا لانقل عن ٦ أسابيع لتتحرك الحملة . ولما كان اسبوعان قد مرا منذ التأميم لذلك كان من المقرر أن تبدأ الحملة في منتصف سبتمبر . وصدرت الأوامر الى القوات الفرنسية والبريطانية المتجهة الى قبرص ومالطة بوضع الحرف (H) - رمزا لعملية هاميلكار - على خوذ الجنود وأسطح الدبابات والطائرات . ولكن هذه الاوامر سرعان ما تعدلت بأمر آخر من الجنرال تشارلس كيتلى القائد العام للحملة ، يأمر بوقف العمل بالخطة هاميلكار . واستبدالها بالخطة موسكتير (الأولى) ، وتعنى بالانجليزية الفارس . . وهكذا ظهرت خطة ثالثة للغزو باسم موسكتير الأولى .

لم تختلف الخطة موسكتير (الأولى) عن الخطة هاميلكار في خطوطها الرئيسية فكلا الخطتين اتخذتا الاسكندرية كهدف يبدأ منه الغزو . ثم يتجه الغزو بعد ذلك نحو القاهرة لاحتلالها ولكن الخطة موسكتير تغيرت

بالتفاصيل المحددة لتنفيذ الحملة فقد تضمنت أربع مراحل للغزو تبدأ بضرب الاسطول البريطانى الفرنسى لميناء الاسكندرية . ثم يتبع ذلك هبوط جنود المظلات خلف بحيرات جنوب الاسكندرية بينما تنزل قوات الغزو من البحر على الشواطىء فى ضواحي المدينة وعندما يتم الاتصال بين قوات المظلات والقوة النازلة من البحر يشتركان معا فى احتلال الاسكندرية وبعدها تتجه قوات الغزو نحو القاهرة .

وبجانب تفاصيل سير الغزو تضمنت الخطة موسكتير الاولى توقيتات محددة للتنفيذ . ان موعد غزو الاسكندرية هو صباح ١٥ سبتمبر . ومن يوم ١٣ سبتمبر يبدأ الطيران البريطانى الفرنسى فى ضرب مصر بالقنابل .

ومنذ اول سبتمبر تتحرك طلائع القوات المشتركة فى الغزو .

وفى يوم ١٥ أغسطس أقرت لندن وباريس خطة موسكتير الاولى . وابتداء من يوم ٢٤ أغسطس بدأ شحن معدات الغزو ومنذ يوم ٢٦ أغسطس تحركت فرق الغزو الى قبرص . . وفى الايام التالية وصلت الى ميناء ليماسول بقبرص . وكان من المقرر صدور التعليمات المبدئية بتحريك سفن الغزو فى يوم ٨ سبتمبر لتبدأ هجومها فى منتصف الشهر . ولكن قبل موعد تحركها بأربع وعشرين ساعة صدر أمر بإيقاف الغزو طبقا للخطة موسكتير الاولى .

كان وراء إيقاف العمل بالخطة موسكتير الاولى نقاش بين لندن وباريس يدور حول الحملة المنتظرة على مصر . . وكان هذا النقاش يقترب بحملة مصر الى قرار خطير .

كانت باريس كعادتها ، كلما ظهر اسم مصر مندفعة . . تريد عملا سريعا أكثر اندفاعا .

بينما كانت لندن تريد عملا مرتبطا بخطة جاهزة تحدد خطوات التنفيذ .

كانت لندن ترى ان فترة التمهيد التى ستسبق الغزو يجب ان تبدأ قبل نزول القوات بفترة ٦ أيام على الأقل . بينما رأى الفرنسيون اختصار هذه الفترة برغم حجة البريطانيين بأن التمهيد الجوى وضرب الطيران المصرى سيسهل للغزو البحرى طريقه الى الشواطىء .

ولم يكن هذا هو كل النقاش ، فمنذ ٨ سبتمبر ظهر لباريس اعتراضات على خطة الغزو موسكتير ، قلب كل خطوطها تماما . . فقد بدأت باريس تعترض على اختيار الاسكندرية كنقطة يبدأ منها الغزو ورأى القادة الفرنسيون أن العملية بهذا الشكل تتطلب شهرين من الاستعداد وليس شهرا واحدا مما يعرقل سرعة تحرك الغزو . ثم تقدمت باريس بمطلب قلب كل افكار الحملة رأسا على عقب . . عندما طالبت بأن يكون الطريق الى الهدف من اقصر الطرق وطالبت بخطة تهدف الى انتزاع القناة مباشرة ورات ان انتزاع القناة يحقق هدف الحملة لأنه سيهيئ القاهرة في النهاية .

وتحققت وجهة نظر باريس . . فعندما عقدت اجتماعات في لندن يومي ١٠ و ١١ سبتمبر لاستعراض موقف الحملة ، تبع ذلك صدور أمر نهائي بوقف العمل بالخطة موسكتير الاولى ، وصرف النظر نهائيا عن الهجوم على الاسكندرية .

وسلمت لهيئة اركان الحرب المشتركة توجيهات بوضع خطة أخرى للغزو تسمى بنفس اسم الخطة التي سبقتها مع ادخال تعديل بسيط بها فقد أصبح اسمها (موسكتير المعدلة) للايقاع بمصر في شرك خداعي لتظل على اعتقادها بأفكار الخطة الاولى (موسكتير الاولى) والتي كانت تفاصيلها قد تسربت الى القاهرة .

ولم يكن تعديل اتجاه الحملة من الاسكندرية الى بور سعيد هو التعديل الوحيد الجوهرى في خطط غزو مصر . . فقد اقنعت باريس لندن بادخال تعديل آخر ، سمح لاسرائيل بدور في حملة مصر . . وكانت هذه بداية للتواطؤ بين الدول الثلاث في الفترة التي تلت التأميم .

كانت بداية ظهور اسرائيل على مسرح الأحداث يوم ٨ سبتمبر وايضا خلال الانتقادات الفرنسية لخطة غزو الاسكندرية . فقد اعادت باريس الإشارة الى اسرائيل مرة أخرى بعد ان لمحت اليها من قبل عند وضع خطة موسكتير الاولى، ورفض ايدن . . ولكن هذه المرة مع تحول خطة الغزو من الاسكندرية الى بور سعيد وجدت اسرائيل اهتماما أكبر في اجتماعات يومية ١٠ و ١١ سبتمبر . . وكان لدى باريس أكثر من وجهة نظر وهي تقدم اسرائيل كشريك يمكن ان يقدم خدمة لخطة الغزو .

لقد كانت خطة الغزو تعتمد على عاملين أساسيين لنجاحها (من وجهة نظر الدولتين) هما السرعة والحسم .. هجوم سريع يغزو مصر ويصل الى هدفه بسرعة .. فهذه هي افكار القادة البريطانيين وافكار ايدن نفسه منذ اصدر قرار اعداد خطة الغزو صباح اليوم التالي للتأميم .. ولكن تلك الافكار عن الحملة اصطدمت بواقع مصر التي تمتلك سلاحا حديثا يقضى على شرطى الحسم وانتهاء الحرب في ايام قبل ان يتنبه العالم لما يجري على شواطئ مصر . كما وجد القادة البريطانيون منذ اللحظات الاولى ان شرط السرعة لا يمكن تحقيقه لعدم وجود قوات جاهزة للحملة تتحرك خلال ايام .

من هذه الزاوية قدمت باريس شريكا ثالثا طموحا .. هو اسرائيل .. يخدم شرطى السرعة والحسم .. وان اسرائيل الطموحة يمكنها تقديم فائدة لخطة الغزو ، بأن تضم امكانياتها لتشارك في الحملة فاسرائيل يمكنها تقديم ٣٧ ألف جندي مقاتل يتحركون في اتجاه الحدود المصرية ولو انضم هذا العدد الى اعداد الجنود البريطانيين والفرنسيين المبعدين لحملة مصر ، وعددهم ٨٠ ألف جندي لو حدث ذلك لاصبحت الحملة تضم ١١٧ ألف جندي .

وفي المقابل كانت لندن وباريس تقدران الجيش المصرى الذى سيواجه الحملة بـ ٤٥ ألف جندي فلو ادخلت اسرائيل في الحملة وزاد العدد الى ١١٧ ألف جندي مقاتل فان النتيجة تحقيق تفوق كبير على الجيش المصرى يصل الى ثلاثة اضعاف . وهذا في صالح عنصر الحسم اللازم لنجاح الحملة .

ولم تر باريس هذه الميزة فقط لاشراك اسرائيل بتحقيق فكرة ثلاثة جنود مهاجمين مقابل كل جندي مصرى مدافع .. وانما كان لدى العسكريين الفرنسيين وجهة نظر اخرى عن المعارك التي لابد ان تخوضها حملة الغزو .. فلم تكن اعتراضاتهم على مدينة الاسكندرية كنقطة بداية الحملة هي في اظهار صعاب هذا الطريق ، وطول مسافته ، مما يستلزم شهرين من الاستعداد . لتوقع التقاء الحملة بالقوات المصرية الرئيسية فيما بين القاهرة والاسكندرية .. لم تكن هذه اعتراضات باريس فقط . وانما كانت باريس ترى ان اسناد دور لاسرائيل في الحملة يمكن ان يؤدى الى اضعاف قوة مصر بشكل آخر .

ان القادة العسكريين يتعلمون في الكليات العسكرية وهم يدرسون الحرب مبدا اساسيا للقتال ليتمكنهم تحقيق النصر بأقل الخسائر . هذا المبدأ هو ضرورة تحقيق (الاتجاه غير المباشر) عند دخولهم المعركة ، وكلما امكنهم ذلك ، امكنهم تجنب القوات الرئيسية للخصم ، والالتفاف حوله ، وقطع

خطوط مواصلاته كلما أمكن للقائد العسكري الاقتراب بعمله من النصر الذي يريده . وقد كان القادة الفرنسيون هم خير من ذاقوا مرارة هذا المبدأ خلال الحرب الثانية ، عندما تقدم هتلر من مكان غير متوقع خلال الميز وشطر دفاعات الحلفاء في بلجيكا وفرنسا . وحدثت مهزلة دنكرك التي أجبرت الجيش البريطاني على ترك أوروبا والانسحاب الى الجزر البريطانية وسلمت فرنسا بعد الخدعة الألمانية في الميز وكانت باريس تتخيل فكرة تخدع مصر بأن تشدها الى اتجاه .. وإياتى الفوز من اتجاه آخر ليقتل المصيدة على الجيش المصرى .

تخيل القادة الفرنسيون دورا رئيسيا لاسرائيل يشد الجيش المصرى الى المصيدة .. وبعدها تتحرك الحملة البريطانية الفرنسية لتقتل المصيدة . وتقطع خطوط المواصلات المصرية من الاتجاه الآخر غير المباشر .. وتستطيع انتزاع القناة بخسائر قليلة .. بدون مواجهة مقاومة مصرية قوية لأن الجيش المصرى سيكون وقتها متورطا في معركة مع اسرائيل داخل سيناء بينما ستأتى الحملة من الاتجاه الآخر غير المباشر عند بور سعيد وتحقق المفاجأة .

وكانت تلك ميزتين لاشراك اسرائيل من وجهة النظر العسكرية الفرنسية .. لكن لم تكن هذه هى كل الخدمات التى سيقدمها الشريك الطموح . كان لاسرائيل دور آخر أكثر أهمية وضرورة لتتحرك الحملة .. وكان اسناد هذا الدور لها يعطى الحملة التى يجرى اعدادها الشرط الوحيد الذى يبرر تحركها نحو مصر .. هذا الشرط هو الذريعة .. الحجة التى تعمل بها ضد مصر ..

كيف كانت اسرائيل ستقدم مثل هذه الخدمة الممتازة لحملة مصر ؟ لماذا أصبحت اسرائيل تملك بعد الاسبوع الأول لسبتمبر أمر تحريك حملة مصر أو تقضى عليها بالفشل .. تلك قصة أخرى .

مذكرات الجنرال ستوكويل قائد قوات الهجوم على بورسعيد

قال ستوكويل ان العقبة الرئيسية التي واجهت بريطانيا وفرنسا واسرائيل في حرب السويس كانت الجيش المصرى الذى ازداد قوة في عهد الرئيس جمال عبد الناصر وأصبح معدا اعدادا كاملا كما ارتفعت روحه المعنوية وقدرته الحربية .. قال ان القوات الجوية المصرية بطائراتها ومعداتنا الحديثة كانت عقبة أخرى أمام العمليات الواسعة النطاق التى كانت معدة للتنفيذ ضد مصر ..

وفيما يلى الجزء الأول من هذه المذكرات :

— كنت اتولى قيادة المجموعة الأولى من القوات البريطانية فى ألمانيا عندما أمم جمال عبد الناصر قناة السويس فى ٢٦ يوليو عام ١٩٥٦ وكانت هذه المجموعة تضم ثلاث فرق مدرعة وفرقة من المشاة .

— ولا اذكر ان هذه الأنباء كان لها تأثير مباشر على حياتنا ولم أكن ادرك انها فى خلال أيام قليلة سوف تدفع بنا الى مغامرة كبرى ، مغامرة انطوت بالنسبة لى على تجارب مجزية ولكنها جلبت أيضا الكثير من الفشل والخيبة .

— فى ٢ أغسطس تلقيت برقية من وزارة الحرب تتضمن تعليمات بأن التقى بنائب رئيس أركان حرب القوات الامبراطورية الذى سيطر الى ألمانيا من بريطانيا ويصل الى قاعدة السلاح الجوى البريطانى فى جوتر سلوه فى الساعة السادسة بعد الظهر . وفى الوقت المحدد كنت فى قاعدة جوتر ساوه والتقيت بالجنرال أوليفر . وقال لى اننى عينت لقيادة اية عمليات برية قد يتقرر شنها ضد مصر . وسوف تكون العملية مشتركة بين البريطانيين والفرنسيين .

— وطرنا الى لندن فى ٣ اغسطس عندما عرض على الجنرال جيرالد تمبلر رئيس أركان حرب القوات البريطانية صورة الموقف . كان هناك نشاط كبير فى وزارة الحرب فى الوقت الذى تعد فيه العدة لعمل عسكري يدعم اية قرارات سياسية قد تسفر عن المؤتمر الثلاثى وأبلغت اننى أستطيع ان اختار خيرة رجال المجموعة الأولى من القوات البريطانية فى ألمانيا لى أنشئ مجموعتين من القوات والتقيت باللجنة المشتركة لواضعى الخطط وأنصح لى انلقى نظرة على خططهم لاعادة احتلال منطقة قناة السويس وكانت الخطط واضحة وبسيطة وتمثل عملية اعادة دخول عن طريق بورسعيد .

ولم يكن هناك أى تفكير فى النزول بمصر مباشرة فى أعقاب الاجراء الذى اتخذته الرئيس عبد الناصر . وكان أوائل سبتمبر هو الموعد الذى يدور فى ذهنى . والواقع انه لم تكن هناك قوة ضاربة تستطيع بريطانيا او فرنسا أن ترسلها للهجوم بمجرد الاخطار لقد كان آلاى القوات التى تنقل بالجو ، او على الأقل جزء كبير منه وكذلك آلاى الكوماندوز من مشاة الأسطول — كانت هذه القوات موزعة فى قبرص للعمل ضد الفدائيين بينما كان الفرنسيون مشغولين تماما فى الجزائر .

— وجمعت الأعضاء الرئيسيين فى قيادتى فى المانيا ، وفى ٥ اغسطس طرنا الى لندن . حيث بدأنا انشاء مجموعتين من القوات واتخذنا مقرنا نفس مقر هيئة القيادة أثناء الحرب العالمية الثانية الواقع تحت نهر التيمز ، وهو مكان عبارة عن مكاتب صغيرة وممرات مكون من ثلاثة طوابق كلها تحت الأرض . واطلقنا عليه اسما سريا هو (تيرابين) . وكان مكانا غير جذاب حيث لا تستطيع أن تعرف الليل من النهار . لكن المكان كان معزولا وآمنا . وكنا نسلى انفسنا باحضار أحد رجال الشرطة العسكرية ليقول لنا ما اذا كانت الشمس ساطعة أم هناك مطر .

— واجتمع فريق القيادة المشترك الأميرال ريشموند قائد قوة الهجوم البحرية (حل محله فيما بعد الأميرال « ورنفورد سلاتر » والمارشال بارنست قائد الطيران) . وكان القواد الفرنسيون نوابا لنا . وسار العمل سرا حسنا على الرغم من وجود خلاف فى الأسلوب لقد كان التسليح ونظام الامدادات والتموين مختلفا بين البريطانيين والفرنسيين .

— وكان الجنرال الفرنسى اندريه بيفر هو قائد قوات الهجوم البرية .

— وكان الفرنسيون فيما اعتقد هم أكثر الدولتين المتحالفتين حماسة لشن هجوم ضد مصر . لقد كانوا يهتمون اهتماما خاصا بقناة السويس كما كانوا يشعرون أن تخليص الجزائر وشمال افريقيا من النفوذ المصرى يساعد قضيتهم كثيرا . ومع ذلك فقد كانوا سعداء لخضوعهم لقيادة بريطانية .

التعليمات الأولى

وبدأنا على الفور دراسة خطة اللجنة المشتركة لواضعى الخطط لقد كانت التعليمات أيضا هى (أن نكون مستعدين لشن عمليات مشتركة ضد مصر لاعادة قناة السويس الى الادارة الدولية) . وكان الموعد هو ١٥ سبتمبر وصدر الينا الأمر بالمعركة .

كانت القوات البحرية المتحالفة تضم ثلاث حاملات طائرات بريطانية وحاملتين فرنسييتين وسربا من الطرادات وبارجة فرنسية وعددا من المدمرات والغرقات وكاسحات الألغام . وكانت القوات الجوية التى وضعت تحت تصرفنا تضم أسرابا من قاذفات القنابل البريطانية طراز كانبرا وفالبانث وأسرابا من المقاتلات البريطانية والفرنسية ومجموعة مشتركة من طائرات النقل .

وكانت القوات البرية المخصصة للعملية تضم لواء المظلات البريطانى رقم ١٦ ولواء الكوماندوز من مشاة الأسطول الملكى بسفن الانزال البرمائية الثالثة والفرقة المدرعة البريطانية العاشرة والفرقة الفرنسية العاشرة من القوات التى تنقل بالجو أو تنزل من البحر والفرقة الأجنبية الفرنسية والفرقة الفرنسية المدرعة الخفيفة .

قوات عبد الناصر

كانت هذه هى قواتنا فماذا كان لدى جمال عبد الناصر ؟ كان السلاح الجوى المصرى يمثل تهديدا كبيرا لطائراتنا سواء من ناحية العدد أو نوع المعدات . لقد كان لدى السلاح الجوى المصرى ما يتراوح بين ١٥٠ و ٢٠٠ من المقاتلات ، جزء كبير منها من طائرات ميغ وكنا نعتقد أن لدى المصريين عددا من أحدث المقاتلات السوفيتية من طراز ميغ ١٧ وكان لديهم أيضا طائرات فامبابير ومتبور ، مع حوالى ٤٠ أو ٥٠ قاذفة قنابل من طراز اليوشن ٢٨ ومجموعة من طائرات النقل وطائرات التدريب .

وكان الجيش المصرى قد نما على يد عبد الناصر وأصبح قوة مفيدة ذات تسليح جيد وكانت معظم معداته سوفيتية وكانت معنوياته قد ارتفعت وبالتالي تحسنت كفاءته فى القتال . وكان لدى الجيش المصرى ما يتراوح بين ٢٥٠ و ٣٠٠ دبابة ، دبابات سنتوريون البريطانية تدعمها دبابات ستالين و ٣٤ وت ٩٥ السوفيتية وكلها دبابات حديثة سريعة ذات مدافع قوية . كذلك كان لدى الجيش المصرى عدد كبير من المدافع المضادة للطائرات ومعدات الرادار وكانت قوات المشاة المصرية تضم ٧٥ ألف جندى .

وكان جيش عبد الناصر موزعا الى قوات فى سيناء للدفاع ضد أى تهديد اسرائيلى أو كقوة ضاربة ضد اسرائيل وقوات فى مصر موزعة للدفاع عن بور سعيد والاسكندرية مع احتياط رئيسى موجود للدفاع عن القاهرة .

وكانت الخطة العامة التى اعطيت لنا أن نقوم بعملية جوية ضد السلاح الجوى المصرى تتبعها عند الضرورة عملية هجوم على الطرف الثانى من قناة

السويس . . وكان المقرر أن تكون هناك أيضا عملية ضد الاسكندرية الهدف منها تحويل الانظار . وكانت الخطة تتضمن القدرة على التقدم على طول القناة بعد هذه العمليات الاولى الجوية والبرية .

٨ مبادئ للخصطة

وكان من الواضح أمامنا أن هناك احتمالين : النزول في بور سعيد او الاسكندرية وانتهينا الى أن النزول في الاسكندرية افضل .

لم تكن بور سعيد مكانا مرضيا بالنسبة لمهمتنا . ان اقرب مطار مناسب يوجد في أبو صوير على بعد ٥ ميلا الى الجنوب وقريب من احدى المناطق التي يحتمل أن يحشد فيها المصريون قواتهم المدرعة كذلك كانت شواطئ بور سعيد ضحلة . وكانت المدينة أشبه بسداد زجاجة ذات عنق طويل جدا . وكان علينا أن ننزع السداد ونحشر أنفسنا في العنق ونتقدم فيه قبل أن نستمتع بالعصر اللذيذ في الزجاجة وكانت عمليات النسف في طريق تقدمنا من بور سعيد كفيلة بأن تسبب لنا مضايقات لا نهاية لها . وكانت بور سعيد تتصل في طرفها الجنوبي بالممر الذي يربطها ببقية انحاء البلاد عن طريق جسرين يمران فوق قناة تؤدي الى بحيرة المنزلة . وكان واحد من الجسرين فقط قويا بدرجة يتحمل معها الدبابات الستريون . . وكان من الممكن تدمير هذين الجسرين ويكون علينا عندئذ أن نرسل معدات لاقامة جسور في مقدمة قواتنا اذا لم نستطع أن نحتل الجسرين سليمين .

كذلك كان يمكن تدمير القناة التي تنقل المياه العذبة الى بور سعيد . وكان هذا كفيلا بأن يسبب لنا مشكلة الحصول على المياه العذبة ، ليس بالنسبة للسكان المدنيين ، بل وبالنسبة للقوات .

أما الاسكندرية فكان بها مطار مناسب يمكن احتلاله بسرعة وبها أيضا ميناء ممتاز وتسهيلات بحرية وشواطئ جيدة . وكانت هناك أيضا مناطق خروج مناسبة في اتجاه الجنوب . وكان الطريق الصحراوي الذي يسير جنوبا الى القاهرة ومنطقة الأهرام يؤدي الى المنطقة التي كنا نعتقد أن الجزء الرئيسي من الجيش المصري يحشد فيها .

بورسعيد أو الاسكندرية

وحددنا هذه المبادئ الثمانية ونحن نصوغ خططنا :

ليس في وسعنا أن نخسر . ولا نستطيع في أي مرحلة أن نقبل مخاطر تؤدي الى تراجعنا .

علينا أن نعطل وندمر سلاح الطيران المصرى وقد طلب القائد الجوى ٣٦ ساعة لانجاز هذه المهمة . ولذلك وضعنا فى خطتنا أن نقوم بهجومنا بعد ٤٨ ساعة من أول غارة جوية .

لا بد من الاستيلاء على الميناء عن طريق هجوم مباشر من مشاة الاسطول تؤيده القوات البحرية المتحالفة .

علينا أن نؤمن مناطق الخروج للاتجاه جنوبا مستخدمين فى ذلك قوات هبوط بالمظلات بريطانية وفرنسية .

لا بد أن تتصل القوات الفرنسية المهاجمة على طول الشواطىء بسرعة بالقوات التى تهبط من الجو . ان عليها أن تقيم رءوس جسور لمتابعة التقدم .

علينا أن نقوم بانزال قوات التقدم على الشاطئء بسرعة حتى يتسنى للفرقة الثالثة البريطانية والفرقة المدرعة البريطانية العاشرة والفرقة المدرعة الخفيفة الفرنسية أن تشتبك مع الجيش المصرى وتدمره بأسرع وقت ممكن .

علينا أن نكون مستعدين قبل ١٥ سبتمبر .

لن ندخل القاهرة

وكما كان يبدو لنا ، فإنه بعد تعطيل السلاح الجوى المصرى وهزيمة الجيش المصرى وتشتيته يمكننا التحرك بسرعة وسهولة لاحتلال منطقة قناة السويس .

والمقننا على هذه العملية اسم « موسكتير » . . ومع حلول يوم ٦ أغسطس كانت خطتنا قد أعدت . ولكن لم يكن قد أصبح واضحاً فى الحقيقة ما اذا كانت هذه العمليات العسكرية ستبدأ على الاطلاق فقد كان أمامها اسابيع طويلة من المفاوضات السياسية والدبلوماسية .

كانت المحادثات الثلاثية قد انتهت من الناحية السياسية وتقرر عقد مؤتمر لندن فى ١٦ أغسطس من الدول التى وقعت على اتفاقية عام ١٨٨٨ وأية دول أخرى يهمها الامر .

وفى يوم الأربعاء ٨ أغسطس خرجنا من كهفنا لنقدم تقديرنا للأمم وخططنا لرؤساء أركان الحرب وكان الاميرال مونبتاتن يجلس فى مقعد الرئاسة وكانت الفرقة مائة بضباط أركان الحرب وكان عددهم فيما اعتقد ٢٠٠ من الضباط .

وكانت اللحظة هامة بالنسبة لنا نحن قواد القوات التى ستتولى الهجوم . فقد خرجنا بخطة جديدة تماما ومختلفة عن الخطة التى وضعتها اللجنة المشتركة لواضعى الخطط . وكان علينا أن نقنع رؤساء أركان الحرب بخططنا وبأن الاسكندرية لا بور سعيد هى النقطة المناسبة للهجوم .

هكذا كان التقدير

وكنا نعتقد أن أمامنا يومين لمرحلة الهجوم الجوى ويوما لى نقيم مراكزنا على الشواطىء ويومين لى نشتبك مع الجيش المصرى وثلاثة أيام أخرى لى نصل الى القناة . ومع حلول اليوم الخامس نكون قد سيطرنا على المعركة ومع اليوم الثامن نكون قد بدأنا نربط على طول القناة .

وشعرنا بالارتياح عندما قبل رؤساء أركان الحرب خطتنا وأصبحت لنا الحرية فى أن نمضى فى وضع التفاصيل . كان هدفنا محددا كنا نعتقد أن أسلوبنا سيتيح لنا النجاح العسكرى السريع المضمون وسوف يمكننا هذا من احتلال القناة وإعادة الادارة الدولية . أن احتلال مصر أو الاستيلاء على القاهرة لم يكن محل تفكير ، فالقوات التى يتطلبها هذا العمل كانت أكبر من طاقة القوات التى توافرت فى المعركة .

والآن ، بالنسبة لهذه القوات : الفرقة الثالثة بدأت تتجمع فى سهل ساليسمورى والفرقة العاشرة المدرعة كانت فى ليبيا ولواء الكوماندوز من مشاة الاسطول كان عليه أن يتجمع فى مالطه .

وكان المقرر أن يتجمع لواء القوات التى تنقل بطريق الجو فى قبرص فقد كانت احدى كتابته فى بريطانيا وكانت القوات الفرنسية فى الجزائر .

لم يكن عملا بسيطا تجميع كل شىء بالقرب من مصر من هذه القواعد المتباعدة .

قوات بلا تدريب

لم يكن جمع الوحدات هو المشكلة الوحيدة كانت هناك كتيبتان من آلاى المظلات فى قبرص تشتركان فى عمليات ضد حركة أيوكا وكان من الضرورى أن ترسلا الى انجلترا للتدريب على القفز بالمظلات اذ أن اعضاءهما لم يقفزا بالمظلات منذ أكثر من عام ولا يمكن للجندى أن يقفز فى قلب معركة دون تدريب . وكذلك كانت هناك كتيبتان من البحرية الملكية تشتركان فى نفس العمليات ومن الضرورى ارسالهما الى مالطة للتدريب على النزول من البحر الى البر وهى عملية لم يقوموا بها منذ ١٠ أشهر ، وكان من الضرورى أن تبلغ

كفاءة قوة النقل التابعة للسلاح الجوي الملكي أعلى درجتها لتتمكن من إسقاط رجال المظلات وكان من الضروري أيضا إرسال أطواف الهبوط الخاصة بالبحرية الملكية من (موث بول) الى مالطة وكان من الضروري كذلك جمع لواء مدرع للفرقة الثالثة ومنح افراده الفترة الكافية للتدريب .

وكان كل جندي في حاجة الى عتاد جديد او عتاد اضافي وكانت الفرقة المدرعة العاشرة تعوزها العربات وكان من المقرر أن تذهب الى ليبيا ولم تكن لدى الفرقة اغطية للعربات وكذلك لم تكن قوات المظلات وقسوات الكوماندوز التابعة للبحرية الملكية لديها مدافع مضادة للدبابات وكان علينا أن ننتج بعضا منها . ولم تكن لدينا سفينة تستخدم كمقر للعمليات ولا سفينة مستشفى .. وكذلك لم يكن لدينا وقت .

ثم كانت هناك هذه المشكلة : كيف يمكننا انجاز هذه العملية الكبرى سرا ؟ ان امكانيات الموانئ في قبرص محدودة للغاية والميناء الوحيد فاما جوستا كان يعمل بالفعل بأقصى طاقته لتموين القوات البريطانية في الجزيرة وكانت المطارات في قبرص يجري اصلاحها وينبغي الانتهاء من عمليات الاصلاح سريعا اذا أردنا أن تواجه احتياجاتنا ، وكان علينا أن نعيد اصلاح مطار قديم هو مطار تبمبو الذي كان يستخدم زمن الحرب العالمية وهو مكشوف تماما للأعين .

وكذلك لم تكن مالطة بشوارعها الضيقة وحقولها الصغيرة وسكانها الكثيرين بالمكان الصالح لتدريب او حشد قوات كبيرة من الجنود وأخيرا قررنا ان نتخطى مشكلة النقل الجوي من قبرص وكان الفرنسيون يعملون بنجاح من تبمبو ، ومن المتفق عليه أن يأتي الهجوم البحري من مالطة والجزائر ويتابع من المملكة المتحدة والجزائر وليبيا ولم نستسلم لهذه المشكلات وصممنا مهما كانت النتائج ان تبدأ العملية في موعدها المحدد وهو ١٥ سبتمبر (ومعنى ذلك أن نكون على استعداد منذ يوم ٨ سبتمبر) .

كان الجيش البريطاني في ذلك الوقت ممتدا عبر مساحة شاسعة في الراين وقواعد حلف شمال الاطلسي وقبرص لمواجهة منظمة أيوكا والملايو والشرق الأقصى حيث أن لها أهمية بالغة .

في ١٠ اغسطس صحبنا رؤساء أركان الحرب الى داوونج ستريت لنقدم خططنا الى رئيس الوزراء وزملائه ونحصل على موافقتهم .

إيدن يمنحني الثقة

وذهبنا الى مقر الوزارة مبكرين لنعد خرائطنا وكانت هذه الخطوة مثيرة بالنسبة لى فلم اكن قد ذهبت الى داوننج ستريت من قبل ولقينا من سير انطونى ايدن كل تشجيع وكان يوجه احيانا أسئلة ليستوضح نقطة ما ، وشكرنا ومنحنا على الفور موافقته من حيث المبدأ على افكارنا ورغم أنه كان لابد يعانى متاعب سياسية فانه منحنى الثقة وانصرفت مقتنعا بأن جهودنا قد اثمرت .

وبالرغم من أن التاجيلات والتغيرات الكثيرة التى ادخلت على الخطة فيما بعد قد أحدثت اضطرابا فى قلوبنا العسكرية فاننى لم اكن ادرك وقتها أن الضغوط السياسية التى يتعرض لها رئيس الوزراء سوف تزداد حدتها حتى لحظة بدء العملية .

وعين الجنرال كيتلى الذى كان قائدا عاما للقوات البريطانية فى الشرق الأوسط قائدا عاما للعملية وكان نائبه هو الاميرال الفرنسى بارجو وهذه التعيينات تركتنا نحن قادة قوة الغزو احرارا للمضى فى استعداداتنا والتركيز على مهمتنا الرئيسية وهى القتال فى المعركة ، واصبحت الآن قادرا على مباشرة قواتى .

وطرت الى الجزائر حيث اقيمت مع الجنرال بوفر وشاهدت الفرقه الأجنبية والفرقة المدرعة الخفيفة السابعة وكانت الفرقتان مستعدين تماما للمعركة ولكن الاولى كانت أكثر كفاءة لأنها حاربت عدة سنوات فى الهند الصينية والجزائر وكان يقودها الجنرال ماسو وهو قائد حازم عنيف لقد كنت سعيدا بلا شك لأنه فى صفنا .

وذهبت الى قبرص وقابلت الفيلد مارشال هاردنج الذى وافق على خططنا رغم أنه كان من العسير عليه أن يساهم ببعض جنوده الاكفاء فى عملية « موسكتير » . . وفى نفس الوقت كانت فرقة المظلات قد بدأت تأخذ أهبة الاستعداد والمطارات يجرى توسيعها وتقويتها لمستقبل ذلك العدد الكبير من الطائرات الذى ينتظر استخدامه ، وبعد ذلك ذهبت الى مالطة لإقامة الاميرال جرانثام القائد العام للبحر المتوسط .

وعدت الى لندن فى سبتمبر لأجد فى انتظارى الشكوك حول امكان القيام بالعملية فى ١٥ سبتمبر كما هو محدد . . وفى حالة تأجيل العملية يلزمنا اخطار مدته ١٤ يوما لتبدأ مرة أخرى اذ كنا فى حاجة الى ٦ أيام لإبحار القوات المحاربة من مالطة و ١٠ أيام لإبحار القوات من المملكة المتحدة وستة أو سبعة أيام لإبحار

القوات الفرنسية من الجزائر .. والواقع اننا اختصرنا هذه المدة فيما بعد الى عشرة ايام فقط .

وفي نفس اليوم ٤ سبتمبر اجلت العملية اربعة ايام اى الى ١٩ سبتمبر .. وفي يوم ٦ سبتمبر اجلت مرة اخرى سبعة ايام الى ٢٦ سبتمبر وقدرنا اننا لن نتمكن من القبض على زمام العملية اذا تأخرت اكثر من ٢١ يوما . ولكن كانت هناك مشاكل ادارية مختلفة تتجمع ومعنى ذلك أن يوم ٦ أكتوبر هو آخر موعد ممكن لبدء انزال القوات .

حصار اقتصادي

ولذلك نبنت فكرة فرض حصار اقتصادي بطريق الجو والبحر على مصر وتدمير الجيش المصرى بطريق الجو ، وعندئذ يمكننا الهبوط بقوات محدودة لا تواجه اى قوة او مقاومة يسيرة وكان من المتفق عليه أن يجرى انزال القوات في بور سعيد وذلك بعد أن استبعدت الاسكندرية كمكان محتمل للغزو .

هذه الخطة الجديدة المعروفة بعملية الفرسان « موسكتير » المعدلة ، كانت تقوم على ثلاث مراحل :

المرحلة الاولى : شل السلاح الجوى المصرى .

المرحلة الثانية : شن غارات جوية مستمرة مصحوبة بحرب نفسية لاشاعة الاضطراب فى الاقتصاد المصرى والمعنويات المصرية والقوات المسلحة المصرية .

المرحلة الثالثة : السيطرة على منطقة القناة واحتلالها بقوات برية او بحرية او جوية حسبما يستدعى الأمر .

وكانت الخطة تتسع من الناحية الزمنية الى امكان القيام بها حتى آخر اكتوبر . ولم يكن هناك وقت محدد للمرحلة الثانية ، وفي الأصل كان من المقرر أن تستمر المرحلتان الاولى والثانية من ١٠ الى ١٤ يوما .

ومن ناحيتى شخصيا كنت دائما مقتنعا بوجود ان يقتزن الهجوم الجوى والبحرى بهجوم برى فلم أكن مقتنعا بأن اطالة زمن الحرب الجوية يمكن أن تحرز النصر ، فقد أثبتت التجربة أن ذلك من شأنه أن يزيد من المقاومة . وكذلك كنت أشك فى جدوى وقيمة الحرب النفسية ، ولكن على أية حال ورغم التعديلات والتغيرات المختلفة سارت العملية النهائية فى نطاق خطة موسكتير المعدلة .

هذا التغيير في الخطة والمدة الطويلة التي أجلت فيها أنتج كثيراً من المشكلات فقد ظلت السفن مشحونة بالعربات والمؤن لأكثر من شهر ، وبدأت بطارياتها في الهبوط وفي حاجة الى صيانة مستمرة وكان من الضروري تفريغ بعض السفن دون أن نتحقق من الموعد الذي يتحتم فيه الإبحار ولم نكن نريد أن نفاجأ بأمر الإبحار وبعض سفننا نصف مشحونة . وفي أوائل سبتمبر طارت كئائب المظلات الى انجلترا وقامت بتدريبات القفز في إيبر ثم عادت الى قبرص . وكان لواء الدبابات السادس يربط في مالطة لينضم الى الهجوم البحري لتأييد مشاة البحرية . أما قوات المظلات الفرنسية فكانت ترابط في قبرص . ولما كانت هذه القوات الضاربة مستعدة لخطة « موسكتير » قبل ٨ سبتمبر فقد كانت على أية حال مستعدة لخطة موسكتير المعدلة . . ولم يكن لدينا فكرة عما اذا كانت خطة موسكتير لها النجاح أو الفشل الفوري ولكننا جاهدنا في مقر القيادة السري لنخرج بنظام معقول للمعركة لمواجهة الخطة الجديدة .

وقد استمرت عمليات التخطيط خلال شهر سبتمبر . وكان الأمر الواضح لنا اننا اذا أردنا أن نضع الخطة في حيز التنفيذ يجب أن تستخدم جميع الامكانيات الموجودة تحت تصرفنا لنفوز بسرعة .

ولقد بدأت قوات الاحتياط كما كان يبدو لنا تشعر بالملل . فقد ظلت هذه القوات تنتظر منذ أوائل أغسطس وكان رد فعلها أمراً لا يمكن تجنبه . كانت هذه القوات قد ابتعدت عن عائلاتها ووظائفها المدنية .

أما مؤتمر لندن فقد انعقد دون أن يصل الى نتيجة محددة وقد رفضت مصر أن تشارك فيه وبرزت حينذاك فكرة انشاء جمعية المنتفعين .

تعديلات مستمرة للخطة

وكان السؤال هو . . هل نقوم بهذا الاجراء ؟ يبدو أن الوقت لم يحن بعد . وفي ٦ أكتوبر تلقى قواد قوة العملية تعليمات بأعداد خطة شتوية للموسكتير كان يمكن أن تظل قائمة لأجل غير مسمى . وفي نفس الوقت كان يجب أن تكون على استعداد لبدء العملية خلال عشرة أيام من اخطارنا .

وقد أصدرنا الأمر بالخطة الشتوية في ١٢ أكتوبر وكانت هذه هي الخطة الثالثة التي نعدّها في فترة لا تزيد كثيرا عن أربعة أسابيع ، وكانت كل خطة تتضمن الكثير من التفاصيل والتعليمات . . كان هناك جو من الفموض بين الفرنسيين واعتقدت أنه يتعلق بتزويدهم اسرائيل بالأسلحة والمعدات خاصة الطائرات . ولكن هذا لم يؤثر على خططنا أو عملنا . ولم تكن عندي أية فكرة عن أن الاسرائيليين يخططون هم أيضا لعمليات ضد مصر . وطوال اعداد خطة موسكتير لم يكن هناك أى اتصال بهم .

بيد انه في يوم ١٥ أكتوبر ماتت الخطة الشتوية وصدرت اليها الأوامر بأن نستعد لتنفيذ خطة « الموسكتير » المعدلة . وبحلول ٢٠ أكتوبر بدأت أمور تحدث بسرعة وبدأنا نضع اللمسات النهائية لخطة الموسكتير المعدلة وقسمنا المرحلة الثالثة من الخطة الى ثلاث مراحل :

المرحلة الأولى : النزول بقوات الهجوم والبدء في التقدم من المدينة .

المرحلة الثانية : ارسال تعزيزات الى بور سعيد والاستيلاء على مطار ابو صوير وفتح القناة حتى الاسماعيلية .

المرحلة الثالثة : احتلال القناة كلها .

وكان المقرر أن تبدأ العملية عند صدور الأوامر بالهجوم الجوى وتبحر في نفس الوقت أساطيل الهجوم من مالطة والجزائر وكذلك قوات التقدم من بريطانيا والجزائر . وكان المفروض أن يشتد الهجوم الجوى أثناء نزول القوات البرمائية في بور سعيد قادمة من الجزائر ومالطة . وسيتم تعزيز العملية كلها بشيران الأساطيل والطائرات المتحالفة .

وصدر الأمر النهائي بالعملية في ٢٤ أكتوبر . وكان يشمل جميع التفاصيل والمواعيد . وفي يوم ٢٦ أكتوبر توجهت بالطائرة الى فيلا كوبلاي خارج باريس للاجتماع بالجنرال بيغر وكنت في ذلك الوقت قد بدأت أشعر في لندن أن الفرنسيين أكثر ادراكا لنوايا اسرائيل منا . وكنت اعتقد ان الجنرال بيغر حريص على أن يقابلنى ليجعلنى أشعر بضرورة الاسراع .

وعلى الرغم من أننى لم اكتشف كل ما يجرى فانه أصبح واضحا من محادثتى مع الجنرال بيغر أن الاسرائيليين على وشك أن يشنوا هجوما على مصر وان الفرنسيين يعلمون ما يدبر . واتفقت مع الجنرال بيغر على أن نلتقى في مالطة .

مَسْرُحِيَّةُ إِغَارَةِ إِسْرَائِيلَ عَلَى الْإِزْدَنْ الَّتِي كَشَفَتْهَا مِصْرُ

كان على إسرائيل تقديم (خدمة) لتتحرك حملة مصر . كان عليها أن تقدم لبريطانيا وفرنسا الحجة التي ستضربان بها مصر ..

وبدأت قوات الغزو تتجمع في قواعد قبرص ومالطة وقد كانت هذه مرحلة التمهيد للغزو .. أو المرحلة الأولى في أعداد الحملة .

أما الغزو نفسه فقد كان دوره في مرحلة تالية .. يبدأ بشن الطيران البريطاني هجوما مركزا على المطارات والقواعد المصرية مستهدفا تحطيم قوة الطيران المصري ، وضمان عدم تعرض الحملة للانتقام النفاثات المصرية . وعندما يتم تدمير الطيران المصري ، تبدأ مرحلة أخرى وهي مرحلة تحرك قوات الغزو في اتجاه الشواطئ المصرية .. وعندما تصل الحملة الى شواطئ مصر تبدأ في تنفيذ هدفها وهو احتلال مصر .

ولكن فيما بين مرحلة تجميع قوات الغزو ، وتوقيت الهجوم الجوى على المطارات المصرية لتبدأ الحملة في هذه المرحلة كان لابد للحملة المدة من عمل سياسى ، هو أن تبرر نفسها بحجة ما .. أن تقدم ذريعة لضرب مصر لتشير الانتباه ، ولو لبعض الوقت ريثما تتحرك الحملة وتحقق غرضها في أيام .

وكانت الحملة في حاجة الى « ذريعة » تبرر بها نفسها أمام الراى العام العالمى ..

وفي الايام الاولى بعد التأميم ، اعتقد ايدن أن حدث التأميم — فى حد ذاته — يمكن أن يقدم له حجة مناسبة ليحقق هدفه وهو استرداد مصر للقناة فقد اعتقد أنه يمكنه تبرير الحملة بحجة العمل على احترام الاتفاقات الدولية والعمل على حرية الملاحة بالقناة .. كما اعتقد أنه يمكنه بشيء من التدبير — التحجج بأن مصر غير قادرة على ادارة القناة بنفسها مما يعطل الملاحة الدولية بها .

وهكذا اعتقد ايدن أنه يملك حجة مناسبة لتبرير حملته ضد مصر ولقد عمل ايدن على توجيه الاحداث لتخدم حبكة ذريعته المأمولة .

فبينما كان القادة البريطانيون والفرنسيون يعدون خطط الغزو رحب
ايدن بعقد مؤتمر في لندن (المؤتمر الاول في ١٦ أغسطس) وكان يعتقد أن
هذا المؤتمر يمكن أن يقدم خدمة للريعة حملته . وعندما سافر منزيس
رئيس وزراء استراليا على رأس لجنة خماسية تمثل المؤتمر لمقابلة عبد
الناصر وعرض نتائج مؤتمر لندن عليه . . وقتها اعتقد ايدن أن تدبيره يسير
في طريق النجاح .

كيف ؟ ..

كان على لجنة منزيس أن تقدم تقريراً الى عبد الناصر . ثم يحدث
الآتي كما توقع ايدن :

يرفض عبد الناصر هذه الاقتراحات لأن القاهرة لا يمكن أن تقرر تسليم
قناة السويس لشركة دولية أخرى جديدة . . وعندما ترفض القاهرة هذه
المقترحات . كان ايدن يعتقد أن هذا العمل يعطى للريعة كل المبررات . .
بإظهار أن « الدولتين المعتديتين (بريطانيا وفرنسا) قد استنفدتا كافة
الوسائل السلمية ولم يبق أمامها إلا القوة . . تلك هي الحكمة التي أعد لها
ايدن » ..

ولكى يزداد احكامها لم يكتف ايدن بمجرد تأخير سفر بعثة منزيس الى
القاهرة . ثم تأخير موعد تقديم اللجنة لتقريرها الى يوم ٧ سبتمبر (خطة
موسكتر موعدها ١٥ سبتمبر) لم يكتف ايدن بدور لجنة منزيس وتأخير
موعد سفرها . . انما عمد الى اجراء آخر يدعم ذريعته المطلوبة .

لقد دفع ايدن « شركة القناة المؤممة » لاصدار امر الى المرشدين
الاجانب بالانسحاب من قناة السويس . . وكان يأمل أن يؤدي انسحاب
المرشدين الى تعطيل الملاحة ، ويجد حجة أخرى تدعم ذريعة حملته ضد
مصر . .

ولكن ذريعة ايدن المطلوبة فشلت . .

سارت الملاحة في القناة بلا تعطيل . . وطلبت الادارة المصرية للقناة في
(سبتمبر) من القوات البحرية تدعيم مرشديها بأربعة وعشرين ضابطاً
بحرياً من « ذوى الكفاءة الخاصة » وكانت القوات البحرية المصرية تحتاج
لكل ضابط لديها لتواجه حركات الاسطولين البريطانى ، والفرنسى في شرق
البحر المتوسط .

وبنجاح الادارة المصرية في ادارة الملاحة بالقناة فقدت لندن الكثير من

جوانب ذريعتها .. علاوة على وقوف جزء هام من الراى العالمى الى جانب مصر .. وادت كل هذه التطورات الى انهيار الذريعة التى أعد لها ايدن منذ اليوم التالى للتأميم . وغابت الفرصة الذهبية لاسترجاع مصر ، للمرة الثانية .

فى هذه الظروف ظهرت اسرائيل كمنفذ لحملة مصر .. ليس فقط بتدعيم الحملة ولكن بتقديم الشرط المطلوب الناقص لتحرك الحملة .. وهو الذريعة المنشودة .

كان ايدن قد فقد مبررات « الهجوم المباشر » على مصر بعد استمرار الملاحه فى القنادة رغم سحب المرشدين الاجانب ، وكان رأى عام عالمى قوى يؤيد موقف مصر ، ولم يعد امام حملة مصر سوى الماضى فى طريق آخر .. ليس مباشرا كما كان مقدرا .. ولكنه طريق يمكن ان يؤدى فى النهاية الى تحرك الحملة نحو شواطئ مصر متذرعة بحجج اخرى .

بدأت الحملة تبحث عن طريق خلفى أو طريق غير مباشر يوصلها لمصر .. وهنا كان دور اسرائيل .. أن تقدم للحملة هذا الطريق أو هذه الخدمة

وقد كان اعتقاد باريسر أن اسرائيل يمكنها تقديم هذه الخدمة .. وعلى هذا الأساس قدمتها الى الشريك الآخر (بريطانيا) فى اجتماعات لندن السرية يوم ١١ سبتمبر .

كيف تم ادخال اسرائيل فى دائرة التآمر على مصر ؟ .

يشرح التاريخ العربى هذا الدور كالاتى ، يبين ما برز ادخال اسرائيل كشريك ثالث فى حملة مصر :

« لو أن اضطرابا ما حدث (مثلا) على الحدود الاردنية الاسرائيلية واشتبكت اسرائيل ثم تدخلت مصر مندفة بحماسها المتوقع لاستطاعت الدولتان (بريطانيا وفرنسا) أن تدخلتا المنطقة لضرب مصر وقض النزاع .. ولن يوجه اليهما أى لوم من حليفتهما أمريكا ، أو من عدوهما روسيا ، أو من العالم أجمع » .

وبمعنى آخر .. فقد كان على اسرائيل اشعال النيران لتتدخل بريطانيا وفرنسا كرجال مطلقاء مهمتهم اخماد « الحرب القسرية » التى نشبت بين اسرائيل من جهة والعرب ومصر من جهة اخرى . ومن خلال مهمة رجال المطلقاء يتخلى رجال المطلقاء عن مهمة اطفاء الحرب ... ويتجهون الى

الفرض الاساسى وهو « تدمير القوات المصرية واحتلال القناة ومصر » ..
اى استرجاع مصر .. وكان معنى هذه الخطة عودة الى افكار الربيع الذى
مضى .

وهكذا عندما انتهت اجتماعات لندن التى استمرت يومى ١٠ و ١١
سبتمبر لم يكن ما اتفقت عليه لندن وباريس هو مجرد تعديل خطة موسكتير
الاولى لتصبح خطة موسكتير المعدلة وليصبح اتجاه الفوز فى بور سعيد
بدلا من الاسكندرية ..

فلم تكن هذه هى كل التعديلات .. حقيقة اوضحت الخطة موسكتير
المعدلة دور كل من بريطانيا وفرنسا .. ومهام قواتهما ..

فقد اسندت خطة موسكتير المعدلة الى القوات الفرنسية مهمة احتلال
شاطىء بور فؤاد .. واختصت القوات البريطانية بفزو بور سعيد ..
وعندما يتم لقوات الفوز احتلال بور سعيد وبور فؤاد كان عليها التقدم فى
زحف مشترك لاحتلال مدينة الاسماعيلية .

وايضا تضمنت الخطة موسكتير المعدلة تعديلا آخر فى توقيت الفوز ..
فقد كان موعد الفوز طبقا للخطة موسكتير اولى هو يوم ١٥ سبتمبر عندما
يبدأ أسطول الفوز فى ضرب الاسكندرية ثم أصبح توقيت الفوز فى الخطة
الجديدة هو يوم ٢٦ سبتمبر .. موعد تحرك الحملة الانجليزية الفرنسية
لضرب مدينة بور سعيد .

كان هذا الجزء من خطة موسكتير المعدلة خاصا ببريطانيا وفرنسا ولكن
لم يكن هو كل ما حملته الخطة من تفاصيل .. كانت الخطة تتضمن دورا
خاصا بالشريك الطموح اسرائيل الذى دخل فى اعتبار حملة الفوز ولاول
مرة منذ التأميم - وكان على اسرائيل ان تسبق فرنسا وبريطانيا فى اداء
دورها كمحرك للذريعة .. كان دورها يبدأ قبل موعد غزو بور سعيد ، بمدة
اسبوع اى فى الفترة ما بين يوم ١٦ ويوم ١٨ سبتمبر .

ولم يكن هذا الدور الذى ستأعبه اسرائيل بجدية عليها .. فقد رسم
هذا الدور لها بما يناسب افكار بن جوريون الخاصة التى تضمنتها خطته
المقدسة قادش (الخطة التى لمعدها لحرب مصر منذ خريف عام ١٩٥٥)
وكان كل ما هو مطلوب من اسرائيل أن تنفذ هذه الخطة بعد ادخال تعديلات
عليها ليتم الالتحام ما بين الخطة الاسرائيلية المقدسة وبين الخطة البريطانية
الفرنسية موسكتير المعدلة .

كان على اسرائيل تعديل اتجاه بدء هجومها .. كان عليها ان تجري مجرد تعديل خدامى في نقطة بدء الهجوم .. وذلك بأن تتجه الى شن اغارة قوية على الاردن بينما تكون قد اعدت قواتها الرئيسية في انتظار ما ستقدم عليه مصر .

توقعت الخطة تحرك مصر لمساعدة الاردن ضد اسرائيل .. واعطت لحركة مصر أهمية خاصة علقـت عليها كل خطوط تنفيذ الحملة .. فمن خلال المساعدة المصرية للاردن كان ذلك يعنى الحرب بين مصر واسرائيل .. بينما اسرائيل قد اعدت قواتها الرئيسية لهذه اللحظة .. وتوقع راسمو الخطة أن بإمكان اسرائيل استغلال اعدادها الحسنة لقواتها في هزيمة الجيش المصرى بسيـئاء .. ثم مطارـدته حتى ضفة القناة .. ووقتها تأتى اللحظة الحاسمة ، تحدث حالة صراع مسلح على مشارف القناة .. وتجد بريطانيا وفرنسا الذريعة المطلوبة (لتتحرك الحملة تحت « رداء » البوليس الدولى وليس المعتدى الفاشم) .

تحددت خطوط خطة الغزو .. ولكن جاءت مطالب أخرى .. وكانت هذه المرة من اسرائيل . فعندما عرضت الخطة موسـكـير المعدلة عليه طالب بن جوريون ببعض المطالب .. فلم يكتف بن جوريون بذلك التنسيق الذى تم بين قيادة موسى ديان الاسرائيلية وبين قيادة الجنرال ايلو الفرنسى ولم يكتف بن جوريون بقيام الطائرات الفرنسية بتزويد القوات الاسرائيلية بالاسلحة والمعدات أثناء حربها بسيـئاء ، لم يكتف بن جوريون بهذا القدر من التعاون وانما قدم مطالب أخرى ثلاثة هى :

أولا : زيادة قدرة المعونة البحرية والجوية البريطانية لاسرائيل .

ثانيا : تزويد اسرائيل بمطالبها من الاسلحة والمعدات الحربية .

ثالثا : ترك تحديد بدء العدوان لمشيئة اسرائيل .

فبدلا من تقيـد بن جوريون بموعـد يبدأ فيه تحرشاته بالاردن للايقاع بمصر فى المدة ما بين ١٦ ، ١٨ سبتمبر .. أراد بن جوريون الانفراد بتحديد موعد تنفيذ الخطة ..

وتحدد موعد مبدئى للتنفيذ فى أول اكتوبر أو نهاية الاسبوع الاول منه لتقوم القوات الاسرائيلية بالهجوم على الاردن لتضع لمصر « الطعم » الذى يجذبها الى الشرك .

وجرت الاحداث بعد ذلك فى تصاعد « كاحداث سريعة » ..
فمنذ يوم ١١ سبتمبر بدأت اسرائيل تثير الاضطرابات « المقصودة
على حدود الاردن » .

ومن جهة اخرى بدأت لندن تساهم من جانبها فى اثاره ما يحدث على
الحدود الاردنية تصوره وكان وكان الموقف يتزايد خطوره .. ففى مساء
اليوم نفسه (١١ سبتمبر) نصح السفير البريطانى فى عمان موظفيه بمغادرة
الاردن فوراً ما دام لا يوجد سبب جوهري لبقائهم .

وسارت اسرائيل تؤدى دورها وازداد التوتر الموقف .. بينما أقدم
الملك حسين من جانبه على خطوات اخرى .. ففى يوم ١٣ سبتمبر استدعى
الملك حسين رؤساء البعثات الدبلوماسية لبريطانيا وفرنسا وأمريكا
للإجتماع به وطالب منهم ابلاغ حكوماتهم بتفاصيل الاعتداءات الاسرائيلية
.. ثم استدعى الملك رؤساء البعثات الدبلوماسية العربية .. وخرج بعدها
ليحضر اجتماعاً عاجلاً طارئاً للجنة الدفاع العليا .. وامتد نشاط الملك
حسين الى اليوم التالى (١٤ سبتمبر) .

سافر الى الحبانية لمقابلة ملك العراق ونورى السعيد ..

وبينما كان الملك فى الحبانية بالعراق شنت اسرائيل اغارة جديدة على
غرنذل .. وكانها تؤكد أن ما يجرى حقيقى ومثير وخطير .. واستمرت
تواصل اغاراتها طوال شهرى سبتمبر واکتوبر .

كانت كل هذه الوقائع كأنها تنذر بالعاصفة التى تتجمع فوق حدود
الاردن .. بينما كان هذا التوتر يعد نجاحاً للدور الذى تقوم به اسرائيل
بينما أقدم الملك حسين على خطوة جديدة وكأنه صار قلقاً على بلده . فقد
بدأ يطالب بمساعدة عربية للاردن .. ولكن هنا لم يتقدم حسين بطلب
المساعدة من مصر وإنما تقدم بهذا الطلب الى العراق ..

وقد كان من الممكن أن تمر هذه الخطوة .. لكن رد الفعل جاء مثيراً
فى اسرائيل .. ففى يوم ٧ اكتوبر حذرت جولدا ماير وزيرة خارجية
اسرائيل .. ووضح من تصريحها وكانت اسرائيل يمكنها أن تقدم على
خطوة ..

وفى اليوم التالى جاء رد على جولدا ماير . ولكن هذه المرة من العراق
.. فقد رد نوري السعيد على الانذار الاسرائيلي بالتهديد ..

ولم تنتظر إسرائيل طويلا .. وفي اليوم التالي لتهديدات نوري السعيد تعرض مركز قايقلية الاردنى لاغارة اسرائيلية ..

وعندما انسحبت القوة الاسرائيلية كانت قد فقدت ١٦ اسرائيليا ، بينما احدثت في الجانب الاردنى خسارة ٤٨ اردنيا علاوة على كثير من الجرحى من الجانبين ، ودعا الملك حسين الوزارة الاردنية الى الاجتماع به.

وتكررت الاحداث فى اليوم التالى .. هددت اسرائيل من جديد .. وبدا الموقف وكأنه وصل الى قمة التوتر .. ثم فجأة صرح ممثل السفارة البريطانية فى اسرائيل بان هناك جيوشا بريطانية على وشك دخول الأردن « لحمايته طبقا لنصوص الحلف البريطانى الاردنى » .. وبعد ذلك هددت النيران التى تشتعل .. وهددت الاحداث بسرعة مثيرة .. خلال اربع وعشرين ساعة تحولت اسرائيل من موقف التهديد الى موقف المتراجع .. وهددت النيران على حدود الاردن ؟ ؟ .



ما هى حقيقة ما جرى على حدود الاردن خلال شهرى سبتمبر و اكتوبر عام ١٩٥٦ ؟ .. لماذا اشتعلت النيران فجأة على حدود الاردن واسرائيل .. وفجأة خمدت سريعا ؟ ؟ ماذا كان يجرى اعداؤه على حدود الاردن ؟

فى الخطة موسكتير المعدلة اجابات لهذه التساؤلات .. فقد بنيت الخطة على قيام اسرائيل بجر مصر الى معركة فى سيناء .. وقد كان على المعركة أن تشتعل على حدود الاردن ثم تنتقل جذوتها الى ضفاف القناة ولقد رتب كل الظروف للتغريب بمصر . الاغارات الاسرائيلية المتكررة . التدخل البريطانى وتهديد اسرائيل .. كلها احدثت أعدت أمام المتفرج الوحيد « مصر » لاقناعه بأن ما يجرى عند الاردن حقيقى .. وخطير .. وينتظر دورا منه ولكن السؤال الذى يفرض نفسه الآن هو دور نوري السعيد فى احدث الاردن فى عام ١٩٥٦ . هل كان دوره عفويا بلا تدبير ؟ ؟ أم كان دور نوري السعيد هو امتداد لحديثه لايدن لاية التأميم وهو يجب على سؤال ايدن عما يكون عليه الرد على عبس الناصر .. فيقول نوري « اضربه .. واضربه بشسدة واضربه الآن ؟ والا .. فماذا كان الهدف من مؤامرة الاردن ؟ » .

ويجب التاريخ العربى لحرب السويس ؟ ..

« كان الهدف بسيطا واضحا : ان كلا من انجلترا وفرنسا كانت تأمل من وراء هذه الاضطرابات المرسومة أن تستفز القاهرة لترسل جيوشها الى

سيناء لتعمل ضد اسرائيل وتساعد الاردن المهددة . فالفرصة لاشك جذابة امام مصر للهجوم على اسرائيل فها هو العراق ينوى الهجوم على اسرائيل ، وها هي انجلترا ترغب ايضا في الوقوف الى جانب الاردن ضد اسرائيل .

هل يمكن تجمع عدة عوامل مشجعة للهجوم مثلما تقدم تصريحات نوري السعيد وتصريحات ممثل لندن في اسرائيل ؟ الم تكن هذه الظروف حافزة لمصر لتلعب دورا معدا لها ؟ ..

رغم كل هذا .. لم تتحرك مصر .. يقول التاريخ العربي للسويس :
رغم دهاء هذه الخطة وعمقها ، فان الفرصة المرتقبة لم تسنح للمعتدين لسبب واحد بسيط وهو ان مصر قد فطنت الى الامر فلم تشن هجوما على اسرائيل وفوتت الفرص على الدهاة .

ماذا ؟ ..

لانه اذا قامت مصر بهجومها فان انجلترا تكون قد واتها الفرص للتدخل انها تستطيع ببساطة أن تدخل الميدان وتعلن عن رغبتها في « الفصل بين الجانبين » اللذين يسببان القلاقل في المنطقة المشحونة بالخطار وبهذا يتصف دور انجلترا بالعمل البوليسي النظيف .

وفشلت حبكة مسرحية حدود الاردن وبالتالي فقدت الحملة المعدة لغزو مصر الذريعة التي تنتظر صنعها على حدود الاردن .. ولم تسقط .. الذريعة بسبب ان مصر لم تندفع وتهاجم اسرائيل فقط .. انما شاركت اسرائيل بنفسها في اسقاط هذه الذريعة . فرغم حماسها الذي تبلور في يوم ٥ اكتوبر بتعليمات داف الوف موسى ديان رئيس هيئة الاركان العامة الاسرائيلية التي تضمنت اعادة الحياة الى خطة قادش المقدسة ، وتضمنت الخطة ذلك النص الذي يحدد للقوات الاسرائيلية هدفها ، وهو « أن تحتل قوات جيش الدفاع الاسرائيلي شمال سيناء ، وتشبث بخطة دفاعي على الضفة الشرقية لقناة السويس .. خالقة مبررات التدخل الانجليزي الفرنسي .. رغم هذا الحماس .. فقد تراجعت اسرائيل عن مهاجمة الاردن .. ولم تحرك قواتها .. واكتفت بما اثارته من اغيرة الخداع على حدود الاردن » .

وفقدت حملة مصر ذريعتها بتراجع اسرائيل عن اداء دورها على الحدود الاردنية لكن هل توقف التفكير في حملة مصر ؟ .. وفجأة وجد حل آخر يفتح الطريق مرة أخرى أمام العدوان .. وبدأت اجراءات الاستعدادات العسكرية التي توقفت .

كيف بدأ العدوان؟

كيف بعثت الحملة ؟ ..

وماذا حدث في اسبوعى اكتوبر الاخيرين « ونفخ الحياة » في حملة مصر ؟ ..

هذه قصة مثيرة لهث خلفها كتاب ورجال صحافة يحاولون تجميع خيوطها واحداثها ، كادوار المحقق الذكى فى فيلم مثير . محوره جريمة غامضة .. لكنها لم تكن جريمة قتل رجل .. بل جريمة قتل من نوع اخطر .. جريمة تواطؤ لضرب شعب ..

توالى احداث القصة منذ منتصف اكتوبر بتسلسل .. لكنها وقعت فى اماكن متغيرة بتغير وقوع حدث جديد ..

بعد عودة الهدوء الى الحدود الاردنية الاسرائيلية وقف بن جوريون فى الكنيسيت الاسرائيلى (البرلمان) يعلن أن مصر هى الخطر الحقيقى على اسرائيل ، وليس الاردن .

وفى ٢٠ اكتوبر طار ايدن الى فرنسا واجتمع بجى موليه ..

وفى يوم ٢٣ اكتوبر ظهر بن جوريون وشمعون بيريز وموشى ديان فى الشانزليزيه واثار ظهورهم المفاجئ بباريس فضول الصحفيين ..

وفى يوم ٢٩ اكتوبر - بعد اقل من اسبوع - تحركت ١٦ طائرة داكوتا اسرائيلية من مطار عقير الاسرائيلى بتل ابيب .. تحمل قوة مظلات اسرائيلية .. وفى الساعة الخامسة الاربعاء بدأت الطائرات تحلق فوق ممر ميتلا المصرى على شكل ٤ موجات .. وكل موجة ٤ طائرات .. ثم بدأ هبوط المظلات والقنابل كل طائرة ٢٥ مظلياً .. وبدأ العدوان الاسرائيلى على بعد ٦٥ كيلو مترا من القناة .

وفى الساعة السادسة من مساء اليوم التالى صدر الانذار البريطانى الفرنسى يطالب مصر بقبول « الاحتلال المؤقت للمواقع الحيوية فى بور سعيد والاسماعيلية والسويس » ..

وفى السابعة مساء يوم ٣١ بدأ الهجوم الجوى البريطانى الفرنسى ..

فهل كانت هناك « عقدة » تجمعت عندها كل هذه الأحداث لتفسر ما حدث بعد يوم ٢٩ أكتوبر ؟ .. أين ؟ وكيف ؟ ومتى ؟ تساؤلات كصف من علامات الاستفهام التي يثيرها محقق يضعها أمامه وهو يدرس قضية جريمة مثيرة وغامضة .

في هذا الصدد .. البحث عن عقدة الجريمة ، قدم الصحفي البريطاني مالكوم ماجريني تحقيقاً مشيراً قام به . فقد قام بتتبع تنقلات وحياة الشخصيات المسؤولة ، في لندن ، وباريس ، وتل أبيب ، طوال الفترة ما بين ٢٢ أكتوبر (قبل ظهور بن جوريون بباريس) ويوم ٢٥ أكتوبر .. خرج الصحفي البريطاني بنتيجة : وهي أن لقاء تم بين جميع المسؤولين في إسرائيل وباريس وشهده مسئول بريطاني وكانت نتيجة اللقاء .. الاتفاق الأخير على دور كل من الأطراف الثلاثة في العمل الذي سيتحرك ضد مصر .

ولقد تعددت القصص عن هذا اللقاء السري الذي جرى في إحدى ضواحي باريس .. واطلق البعض على فترة اللقاء هذه اسم الساعات الذهبية لأنه بعدها عاد بن جوريون من باريس ليصدر أمراً بوضع الخطة الإسرائيلية للهجوم على مصر موضع التنفيذ ..

فلماذا تم في سيفر ؟ .. وماذا ناقشه ممثلو بريطانيا وفرنسا وإسرائيل ؟ ..

اجتمعت قصص عديدة على أن بن جوريون ظل يتحدث في فيلا ضاحية سيفر عن مخاوفه من قوة الطيران المصري ، وخوفه من ضرباته المضادة الانتقامية ، لو قامت إسرائيل بهجومها على مصر وتنفيذ دورها ولم يكتف بن جوريون بذلك بل طالب بتعهد كتابي من بريطانيا - بالذات - .. لدخولها الحرب ضد مصر ، مهما كانت نتائج مفاوضات جنيف (التي كانت .. ستجريها مع مصر يوم ٢٩ أكتوبر) .

وتقول القصة العربية لحرب السويس ما يأتي عما حدث في سيفر :
« في يوم ٢٢ أكتوبر سافر بن جوريون إلى باريس ومعه شمعون بيريز من وزارة الدفاع الإسرائيلية وموشى ديان ، وأقالتهم سيارة إلى إحدى ضواحي باريس وتسمى سيفر .. وكان بينو داخل الفيلا ومعه مسئولان فرنسيان آخران هما بورجيس موتري وإيلي توماس . حيث دار اجتماع ضم الستة عرض فيه بن جوريون مطالبه وشروطه لدخول الحرب .
« واستؤنفت الاجتماعات في اليوم التالي وحضرها هذه المرة جى موليه

وتفهم مطالب بن جوريون السياسية والعسكرية الخاصة بتأمين عمليات اسرائيل وحماية مدنها وسواحلها .

« وعصر يوم ٢٣ أكتوبر وصل سلوين لويد وباتريك رين الى سيفر ، ووضع الأطراف الثلاثة النص النهائي لاتفاقية سيفر (لتحريك العدوان) الذى تضمن النصوص التالية :

١ - تقوم اسرائيل بمهاجمة سيناء بالقوة ويكون هدفها الابتدائى هو الوصول الى مشارف القناة فى اقصر وقت ممكن (لتستغلها بريطانيا وفرنسا كذريعة للتدخل) .

٢ - توفر القوات الجوية الفرنسية الحماية الجوية لاسرائيل كما توفر القوات البحرية الفرنسية الحماية البحرية للمياه الإقليمية الاسرائيلية وتقوم القوات الجوية البريطانية بتدمير المطارات والطائرات والأهداف العسكرية المصرية ..

٣ - تصدر بريطانيا وفرنسا انذارا مشتركا لكل من مصر واسرائيل لوقف أعمال القتال والابتعاد عن القناة ، مع قبول مصر احتلال منطقة القناة احتلالا مؤقتا بواسطة القوات الانجلو فرنسية لحماية الملاحة البحرية فيها . على أن يصدر الانذار عندما يذيع راديو اسرائيل نشرة اخبارية يعلن فيها أن وحداتها المتقدمة موجودة فعلا عند مشارف القناة . وبذلك يكون امامها اثنتا عشرة ساعة لكى تصل الى خط العشرة اميال (شرقى القناة) .

٤ - تدافع فرنسا عن موقف اسرائيل فى الأمم المتحدة ، وفى نفس الوقت تبذل بريطانيا جهودها بصفة سرية بالاتصالات الخاصة لمساندة اسرائيل دون أن تكتشف علانية عن ذلك حتى لا يضار مركزها فى الوطن العربى .

ولقد اراد بن جوريون هذه النصوص الاربعة مكتوبة وموقعا عليها من مسئول بريطانى .. وكان لابد من موافقة ايدن . وظلت الاتصالات مستمرة ما بين لندن وباريس ليلة ٢٤ أكتوبر .. ووصلت أخيرا موافقة ايدن ، وكلف باتريك دين بالتوقيع باسم بريطانيا وبن جوريون عن اسرائيل ، وكريستيان بينو عن فرنسا ..

وانتهت اجتماعات الساعات الذهبية باتفاقية سيفر التى صارت فى

شكلها النهائي في اليوم التالي . وتحفظ أخير اتفاق الاطراف الثلاثة على عدم عرضها على برلمانهم أو نشرها مستقبلا .

هل معنى الاتفاقية أن العدوان كان وليد اجتماع سيفر فقط ؟..

والاجابة .. لم تكن اتفاقية سيفر سوى لمسات اخيرة اتمت وضع خطة العدوان في شكلها النهائي . وقد جاء هذا الاجتماع بناء على رغبة بن جوريون .. وبعد أن اظهر بن جوريون مخاوفه من نتائج الهجوم الاسرائيلي على سيناء على أساس أن خطة العدوان بنيت على أساس أن تقف اسرائيل وحدها في الميدان أمام مصر لمدة ٣ أيام ، حتى تهدد قناة السويس وتعطى لحملة مصر مبرر التدخل ..

وبالرغم أن بن جوريون كان هو باعث فكرة حملة مصر بعد توقف استعداداتها في منتصف أكتوبر بفشل فخ الحدود الأردنية ، عندما أعلن بن جوريون في الكنيست « أن مصر هي الخطر » .. وكان معنى كلامه أن اسرائيل تستعد لعمل مباشر ضد مصر .. ثم تأتي الحملة البريطانية الفرنسية متدعة بنتائج هذا العدوان .. ورغم أن ايدن ظل يدرس الفكرة الاسرائيلية الجديدة لعدة أيام خلال الاسبوع الثالث من أكتوبر ، حتى اقتنع بالفكرة الاسرائيلية وامكان الاستفادة منها في تحريك الحملة . لكن حدث بعد ابلاغ بن جوريون بالخطة الجديدة انه اظهر مخاوفه بينما كانت الاستعدادات العسكرية البريطانية والفرنسية قد استؤنفت في قاعدتي قبرص ومالطة .. ومن هنا عقد مؤتمر سيفر لارضاء بن جوريون ولم تكن الساعات الذهبية في سيفر سوى « مشددة أخيرة » لعقدة التواطؤ الثلاثي .

لكن التواطؤ كان له آثار أخرى ظهرت في مكان أبعد بكثير من باريس انها قصة من وثائق وزارة الخارجية العربية اقل أهمية ، لكنها تضيف الى قصة التواطؤ دلالات أخرى تؤكد التآمر .. وهذا الدليل جاء من طرف بعيد عن المؤامرة ، ولم يكن له من دور سوى ، أن أحداث التآمر الثلاثي كلفتني بعض التضحية .. لقد كان شاهد الاثبات هذه المرة دولة افريقية هي اثيوبيا صاحبة قصة عن التواطؤ .

ففي أواخر أكتوبر عام ١٩٥٦ قدم السفير الاثيوبي بباريس احتجاجا .. لوزارة الخارجية الفرنسية على اقدام السلطات الفرنسية بميناء

جيبوتى .. بالصومال الفرنسى بمصادرة سفينتين اثيوبيتين هما السفينة « كاترينا ماردى » والسفينة « ايبانيا » ثم قيام السلطات الفرنسية بانزال اطقم السفينتين من البحارة الاحباش واستبدالهم بـ ٧٢ بحارا فرنسيا .

حدث هذا فى اواخر اكتوبر . وفى يوم ٥ نوفمبر وصلت السفينتان كاترينا ماردى وايبانيا الى مياه خليج العقبة تحملان اسلحة وامدادات وتموينا للواء اسرائيلى وصل الى منطقة شرم الشيخ المصرية بعد ان بدا العدوان الانجليزى الفرنسى يوم ٣١ اكتوبر ..

هل كانت عملية الاستيلاء على السفينتين الاثيوبيتين فى اواخر اكتوبر فى ميناء جيبوتى ثم ظهورهما يوم ٥ نوفمبر تحملان الامدادات الى شرم الشيخ مجرد صدفة بحتة ؟ .. هل كان توقيت الاستيلاء غير معد ليتمشى مع ضرورة امداد اللواء الاسرائيلى الذى تقدم ٦٠٠ كيلو متر حتى وصل شرم الشيخ اكان هذا الحادث صدفة عابرة وليس اثباتا لتواطؤ تم نتيجة لتنسيق معد بين اطراف التواطؤ .

وما حدث بعد ذلك .. هو اعداد اخير يقوم به كل طرف من اطراف التواطؤ الثلاثة بالدور المرسوم له ..

تحركت قطع الاسطول الفرنسى كريسانت وسيركوف وبوفيه وجورج ليجوس فى اتجاه اسرائيل ، للقيام بحماية سواحلها تنفيذا لما تم فى سيفر .

وفى يوم ٢٣ اكتوبر تحرك الطيران الفرنسى الى المطارات الاسرائيلية .. تحرك الجناح ٦٤ نقل جوى من طراز (نورد من قوات حلف الاطلنطى من قاعدة سان ديزيه الفرنسية الى مطار اللد الاسرائيلى .. وتحرك الجناح الثانى مقاتلات ستير (١٤) من ديجون الى حيفا . وتحرك الجناح ٦٤ نقل جوى من طراز (نورد اطللس) الى حيفا . وفى يوم ٢٨ اكتوبر وصل ٦٠ طيارا فرنسيا الى ميناء حيفا . وقبلها فى اوائل اكتوبر كانت الاسلحة الفرنسية تتدفق على اسرائيل . ووصل الى اسرائيل ٣٦ طائرة ميسستير ١٤ ، ٣٠٠ دبابة سوبر شرمان ، ٣٠٠ ناقلة جنود مدى ٦/٦ و ٢٠ ناقلة دبابات علاوة على ١٠٠ دبابة قدمتها فرنسا فى اوائل عام ١٩٥٦ .

الدوريات في سيناء

وبالنسبة لاسرائيل - كان عليها أن تقوم بالدور المطلوب منها وهو « خلق حالة تهديد عسكري على القناة » .. لتقدم مبرر التدخل البريطاني الفرنسي .. ولأن خطة التواطؤ الأولى قد تغيرت ولم يعد الهدف الاغارة على الاردن لتوريط مصر ، وانما اختصرت المساهمة الاسرائيلية لتهاجم مصر مباشرة فقد استدعى ذلك تغيير الخطة الاسرائيلية القديمة قادش . وبدأ القادة الاسرائيليون في وضع خطة جديدة تضع كهدف لها الوصول الى شواطئ القناة بأسرع ما يمكن ليتمكنها خلق الذريعة المطلوبة .. ولكي تستخدم القيادة الاسرائيلية هذا الغرض فقد وضعت خطة تقوم فيها قواتها على أساس عدم مواجهة المواقع المصرية في سيناء ، وتفضيل الدوران حولها لتتابع سيرها سريعا صوب شواطئ القناة .. وهكذا قامت اسرائيل باسقاط مظاهراتها على بعد ١٥ كيلو مترا عند سدر الحيطان وفي اقرب مكان من شواطئ القناة يمكنها الوصول اليه .

اطلق القادة الاسرائيليون على خطتهم الجديدة اسم قادش المعدلة وبنيت الخطة على أساس قيام القوات المسلحة الاسرائيلية ، (بالتعاون مع القوات الانجليزية الفرنسية) بالقضاء على القوات المسلحة المصرية بمواقعها في المنطقة رفح - العريش - جبل لبنى - القصيمة .. ثم تطور الهجوم وتستغل النجاح وتصل الى مسافة ١٥ كيلو مترا من قناة السويس ..



أقر بن جوريون هذه الخطة يوم ٢٥ اكتوبر .. وفي الساعة الثانية الا ربعا أصدر موسى ديان رئيس هيئة الأركان العامة الاسرائيلية تعليمات تنفيذ الخطة الى ادارة العمليات الاسرائيلية ..

توضح تعليمات موسى ديان غرض الهجوم الاسرائيلي طبقا للنص الحرفي لتعليماته :

الغرض ..

- (١) خلق حالة تهديد عسكري على القناة باحتلال اغراض مجاورة لها ..
- (ب) احتلال مضائق ايلات (اى مضيق خليج العقبة) .

(ج) احداث ارتباك في تشكيل قتال القوات المصرية الموجودة في سيناء .
ثم تشرح التعليمات الخطة .. فتبدأ بأمر عام يحدد توقيتها .
يوم ٢٩ اكتوبر ١٩٥٦ الساعة ١٧.٠٠ « الخامسة مساء » .
وبعدها تنتقل الى تحديد طريقة تنفيذ الخطة .. وتقسيمها لراحل :

١ - المرحلة الاولى « ليلة ٢٩ / ١٠ - ١٠ / ٣٠ » .. اى ليل بدء العدوان
وفيها تقوم القوات الاسرائيلية ب :

احتلال مواقع الطرق عند صدر الحيطان باستخدام المظلات
(قوة ممر ستيل) .

٢ - المرحلة الثانية .. فى ليل ع + ١ اى (ليل ٣٠ - ٣١ اكتوبر) وفيها
تقوم القوات الاسرائيلية بالآتى :

● التقدم فى محرر رأس النقب - شرم الشيخ .

● الاستيلاء على القسيمة .

٣ - المرحلة الثالثة .. ليلة ع + ١ (ليلة ٣١ اكتوبر - اول نوفمبر)
والايام التالية وفيها تقوم القوات الاسرائيلية ب :

● احتلال مضائق ايلات (العقبة) .

● التقدم صوب القنارة والتشيت بخط يبعد عنها بمالا يقل
عن ١٥ كم .

وفى اليوم التالى (٢٦ اكتوبر) صدرت تعليمات أخرى الى البحرية
الاسرائيلية والطيران الاسرائيلى تحدد لهما أدوارهما .. وفى تلك التعليمات
التي صدرت للطيران الاسرائيلى ملاحظة .. فبينما حددت ، التعليمات
للطيران الاسرائيلى مهمته بالدفاع الجوى عن سماء اسرائيل من خلال
اليومين الاولين من الحرب . فقد أعطت التعليمات الجوية فيما بعد مهمة
مساعدة القوات البرية الاسرائيلية الاهمية الاولى على باقى العمليات ابتداء
من ليل ٣١ اكتوبر (ليل بدء الهجوم البريطانى الجوى) ..

ومضت اسرائيل تستكمل خطوات تنفيذ دورها .. فقد حددت قوات
الهجوم التى يرأسها القائد الوف (عميد) اساف سمحونى قائد المنطقة
الجنوبية وصدرت اليه تعليمات مشابهة لتعليمات الخطة الأصلية ..
وخصصت للهجوم مجموعات الأولوية ١ و ٤ و ٨ و ٩ و ١٠ و ١١ و ١٢ و ١٦
و ١٧ و ٢٦ مشاه واللواء خاتيفاتى وثلاثة ألوية مدرعة هى ٧ و ٢٧ و ٣٧

علاوة على ١٤ كتيبة مدفعية ميدان ومتوسطة ، وكتيبة مدفعية مضادة للدبابات واخرى مضادة للطائرات ولواء مهندسين ، واربع كتائب تحال علاوة على ضم رئاسة مجموعة العمليات ٣٨ و ٧٧ لقيادة سمحوني واللواء ٢٠٢ مظلات :

تضم القصة العربية تفاصيل اخرى كبيرة ومتعددة للهجوم الاسرائيلى .. تفاصيل توضح تقسيمات قوات الهجوم واحتياطاتها وقادة وحداتها .. لكن ما يهم فى الخطة الاسرائيلية انها اشتملت على ثلاث مراحل ، فى اول مرحلة كان عليها ان تبدأ هجومها الى ابعد ارض ممكنة داخل سيناء . مع الجيش المصرى ..

وبعد ذلك فى مرحلة متأخرة (تكون الحملة الانجلو فرنسية تحركت) تبدأ القوات الاسرائيلية فى مواجهة المواقع المصرية برغم ان اهمالها لشأن المواقع المصرية كان يشكل خطرا كبيرا عليها واحتمال تطويقها ..

وعلى تعبير القصة العربية .. الم يكن هذا الاندفاع الاسرائيلى بدون النظر الى احتمال التطويق يعنى ان لدى اسرائيل « ثقة مطلقة بأن تدخلها آخر سوف يزيل عنها خطر قوات مصر الرئيسية فى القناة » ؟

ومضت باقى الاستعدادات الاسرائيلية .. فى يوم ٢٥ ايضا وفى المساء صدر امر بتعبئة القوات الاسرائيلية بطريقة سرية خلال خمسة ايام فقط .. تبدأ ليل صدور الامر (الجمعة برغم انها ليلة توقف اليهود عن ممارسة اى عمل) وتتم يوم الثلاثاء .. وقبل انتهاء التعبئة بيوم يبدأ الهجوم .. اى يوم الاثنين .. وتم تعبئة ما يقرب من ٦٠ الف اسرائيلى للهجوم المعد ..

وفى الخامسة من مساء ٢٩ اكتوبر تحركت ١٦ طائرة داكوتا تحمل المظلات الاسرائيلية لاسقاطهم فوق ممر ميتلا .. بينما تحركت مجموعة العمليات ٣٨ .. الاسرائيلية تضم اللواء الرابع مشاه ومجموعة اللواء السابع المدرع ، مخترقة الحدود المصرية فى اتجاه القسيمة ..

وتحرك اللواء التاسع المشاه الاسرائيلى فى اتجاه رأس النقب .. بينما كان على باقى مجموعة اللواء ٢٠٢ مظلات الحاق برا بكتيبته التى سبقته الى سدر الحيطان ، ثم يشترك اللواء مع كتيبته فى الاستيلاء على ممر ميتلا وبعدها يدفع اللواء مجموعة قتال للاستيلاء على سور والتقدم الى مدينة الطور المصرية .

وهكذا رسمت القيادة الاسرائيلية اللواء المظلات مهمة خلق ذريعة التدخل

البريطاني الفرنسي . فقد حددت « للواء الذريعة » مهمة التقدم الى شواطئ القناة ..

ولكن حتى في مهمة اللواء ٢٠٢ مظلات الاسرائيلي .. لواء الذريعة .. هناك قصة .

فطبعاً لاتفاقية سيفر كان على اسرائيل أن تبدأ بمهاجمة سيناء ، تحاول التقدم سريعاً ، وفي أقل وقت ، وبأى وسيلة لتصل الى شواطئ القناة .. وقتها تستطيع بريطانيا وفرنسا التدخل بأى حجة لحماية القناة أو الفصل بين المتحاربين .. ولذلك كانت مهمة هذا اللواء الاسرائيلي تقديم الذريعة .. وفي الخطة الاسرائيلية اخترت كتيبة من كتائب لواء المظلات ٢٠٢ لانزالها في أقرب مكان من القناة ..

وحتى يوم ٢٨ اكتوبر كان محدداً كمكان لانزال الكتيبة ، غرب ممر ميتلا على مسافة لا تزيد على ٣٥ كيلو مترا من شواطئ القناة .. ولكن هذا المكان تغير عندما حطت طائرة استطلاع اسرائيلية فوق الاراضى المحيطة بالممر .. وابلغت عن وجود مجموعة من اكشاك قريبة من مكان اسقاط المظلات في غرب ممر ميتلا .. وقد فسر ذلك قادة اسرائيل بأن الاكشاك لابد انها معسكر مصرى .. وقرروا استبدال منطقة غرب الممر القريبة من القناة الى منطقة شرق الممر على بعد ٦٥ كيلو مترا من القناة ..

ولقد اعترض بعض معاونى ديان على هذا التغير ، الذى لن يخدم الذريعة المطلوب من اسرائيل تقديمها وكانت اجابة ديان « وقت المعارك تنوّه الحقائق ، ولا تهتم التفاصيل لتبرير غزو مصر » !

وتغير مكان اسقاط المظلات من غرب ممر ميتلا الى شرقه .. ولم تكن هذه الاكشاك التى غيرت افكار القيادة الاسرائيلية سوى اماكن عينت لمجموعة من العمال المصريين يعيدون رصف طريق يمر بالممر !

ولقد بدأت اسرائيل دورها .. مندفعة باللا وعى تريد رؤية امواج القناة ..

فلم يكن مطلوب منها اكثر من هذه المهمة ..

فماذا كانت افكار الغزو نفسه ؟

وماذا كانت افكار بريطانيا وفرنسا عن حملة مصر ؟!

٣ عواسل

اعترت عليا خطة الغزو.. ثم خابت

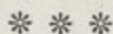
في الصباح المبكر من يوم ٥ نوفمبر بدأ الغزو .. هبط جنود المظلات البريطانيين والفرنسيين فوق أرض بور سعيد في مناطق الجميل والرسوه وبور فؤاد . وعندما كان رجال المظلات الفرنسيون يهبطون فوق بور فؤاد كان بينهم رجل لا يحمل بندقية او مدفعا ، بل كان يحمل بدلا من البندقية قلمه وأوراقه اللازمين لعمله كمراسل حربي مرافق لحملة الغزو . وعاش المراسل الحربي الصحفي الفرنسي شالار فافريل -، وهذا هو اسمه - يشارك الجنود الفرنسيين المعركة .. يحتفى معهم بالحفر والخنادق من نيران المدافع الرشاشة المصرية . وعندما هدأت المعركة بعض الوقت خرج فافريل من مخبئه ، واتصل تليفونيا بصديق أجنبي له يقيم بالقاهرة وفي نهاية المكالمة التليفونية قال فافريل لصديقه .. انه سيمصل الى القاهرة بعد أيام وعليه ان يعد زجاجات الويسكى لتكون في انتظاره عند وصوله القاهرة ..

ولكن فافريل لم يصل الى القاهرة ، ولم ير صديقه الأجنبي فقد عاد الى قبرص لمرافقة قوة أخرى من رجال المظلات ستقوم بمهمة سرية في مصر ووصل الى قبرص ولم يعد لمصر .. لسبب .. وهو أن حملة مصر توقفت في بور سعيد ثم تجمدت في مكانها ثم فشلت وانسحبت .

هذه القصة يرويها أزو المؤلف الفرنسي لكتاب فح السويس ثم يعلق عليها بقوله « ان ما يفكر فيه الانسان شيء وما يفعله القدر شيء آخر » .. لكن ما يشير الانتباه في قصة فافريل تلك الثقة بالنفس والثقة في نجاح حملة غزو مصر والتي تبدو من خلال الاتصال التليفوني الذي أجراه فافريل .. فتفاؤل فافريل لم يكن خاصا به وحده ، وانما كانت هذه صفة لازمت كل قادة حملة غزو مصر جميعا ..

ولقد طلب فافريل من صديقه بالقاهرة اعداد زجاجات الويسكى .. لكن تفاؤل قادة الحملة ذهب الى أبعد من ذلك . فبينما كان الغزو يقترب من مصر ، وقبل أن تمس قدم جندي بريطاني أو فرنسي أرض بور سعيد وقتها ذهبت الثقة الزائدة بالنجاح لدى الجنرال بارجو نائب القائد العام للحملة الى حد انه أرسل برقية لتشجيع طلائع الغزو يقول لهم « هيا بنا

الى بور سعيد فعندما نصل الى مدخل قناة السويس ، نصبح سادة الموقف » .. هكذا كان الشعور عاما لدى قادة الحملة بأن غزو مصر ما هو الا نزهة لطيفة على شواطئ القناة ستتم سريعا ، بمجرد شن غارات جوية تسبق جنود الغزو ، وبعدها يأتى جنود المظلات يهبطون فوق شواطئ بورسعيد تتبعهم سفن الغزو .. وعندما ينزل جنود الحملة الى الشواطئ تكون كل قنبلة أسقطت على مصر ، قد فجرت قنبلة أخرى من الخوف لدى المصريين . ولذلك يجد جنود الحملة أقل مقاومة أمامهم وهم يتقدمون عبر مدن القناة .. وسريعا يحققون هدف الغزو فى أيام ويسترجعون مصر كلها .



وهكذا حددت الخطة الانجليزية الفرنسية النهائية خطوات حملة الغزو .. وطبقا للنص الحرفى لخطة الغزو « موسكتير » المعدلة النهائية كان الغزو سيتم كالآتى :

فى المرحلة الاولى للغزو يقوم الطيران البريطانى الفرنسى بغارات .. جوية مستمرة على مصر ، تستمر لمدة ستة ايام ، ابتداء من اليوم الثالث للهجوم الاسرائيلى على سيناء (الذى بدأ يوم ٢٩ اكتوبر) .

فى المرحلة الثانية .. وفى حماية مدافع الأسطولين البريطانى والفرنسى وهجمات الطيران .. تبدأ قوات الغزو تقترب من بور سعيد للاستيلاء عليها وتحتل جزءا من أرض بور سعيد عرضها عشرة كيلو مترات وتمتد الى عمق ٤٠ كيلو مترا الى داخل الشاطئ المصرى بعدها كمنطقة « رأس الشاطئ » التى ستستقبل قوات الغزو التالية .. وطبقا للخطة يتم تحقيق هذا الهدف فى خلال يومين .

وبعد اتمام هذه المهمة تطور قوة الغزو هجومها متجهة الى مدينة الاسماعيلية ، الهدف التالى لها .

هذا عدا الشق الاول من خطة الغزو موسكتير المعدلة النهائية أو ما عرف باسم (الخطة أ) .. وكانت هذه مهمة البريجاديير البريطانى بتلر الذى اسندت اليه قيادة أول قوة تهاجم بور سعيد .. وتتكون من مجموعة اللواء ١٦ مظلات ، كتيبتين وآلاى مظلات من الفرقة العاشرة ، وهذه القوة مهمتها اقتحام منطقة بور سعيد من الجو ، والاستيلاء على مخارج المدينة والأهداف الحيوية بها .. وكاستطراد لشرح خطة الغزو بأسلوب عسكرى .. كان من المقرر أن تتبع قوة البريجاديير بتلر ، قوة

أخرى تأتي فوق ظهور سفن الأنزال لتدعيم موقف قوة المظلات التي ستلقى الصدمة الأولى مع الدفاعات المصرية .. وكانت هذه مهمة الرئيس أدميرال البريطاني هولاند مارتين .. الذي أسندت له قيادة قوة الغزو البحري .. المكون من اللواء ٣ الفدائيين البحريين ، رئاسة الفرقة العاشرة المظلات وكتيبة من الفرقة ، اورطة دبابات خفيفة ، ٣ كتائب فدائيين بحريين .

وحتى الآن يتركز كل الحديث حول « الخطة .. » من خطة الغزو والقوات البريطانية الفرنسية التي كلفت بتنفيذها بالتقدم إلى بور سعيد ثم تطوير الهجوم للاستيلاء على مدينة الاسماعيلية .. وإلى هذا الحد من خطة الغزو كان لدى القادة البريطانيين والفرنسيين تفاؤل غريب بإمكانية نجاح الحملة .

كانوا يرجحون إمكانية الاكتفاء بهذا الجزء من الخطة .. ليتحقق هدفهم النهائي وهو .. استرجاع مصر .. وكانت لهم دوافعهم التي ذهبت بهم إلى التفكير بشكل يقترب من أحلام اليقظة .. وكان القادة البريطانيون والفرنسيون يعتقدون أن كل العوامل في جانبهم .. وأن كفة الانتصار ترجح نجاح الحملة باعتبارهم أن خططهم تضمنت أكثر من عامل حاسم يلعب لصالحهم .

اعتقدوا أولا أن حملة الغزو وصلت في القوات والاستعداد إلى أقصى الدرجات . وأمكنهم حشد قوات هائلة للعمل ضد مصر وقواتها المسلحة مما يشير إلى أن ضربتهم ستكون قوية وهائلة .. وبمعنى آخر كان قادة الغزو يملكون عامل التفوق المادي على القوات المصرية ..

واعتقد القادة أن تدابير الخداع التي أحاطت بحملة الغزو قد وصلت في أحكامها إلى حد لا يترك أي ثغرة في الفخ المعد لاقتناص مصر . وأنها لا بد ساقطة في الفخ .

واعتقدوا أن هناك ورقة ثالثة ستأعب لصالحهم بعد استمرار الاغارات الشديدة على المدن المصرية ، وسرعان ما تأتي هذه الورقة بنتائجها عندما تسقط قنابل الأسطول فوق منازل بور سعيد وتدوى طلقات رصاص جنود الحملة خلال الطرقات .. فتلك الورقة التي أعطوا لها أهمية ودورا في خطة الغزو هي .. شعب مصر نفسه .. وهذه قصة ثالثة ..

ولندا الحديث بالعامل الأول في خطة الغزو .. عامل التفوق في الاستعدادات والقوات ..

لقد كان تفوق الحملة البريطانية الفرنسية أمرا حقيقيا وظاهرا .. وقد بدأت الاستعدادات للحملة منذ اليوم التالي للتأميم .. ففي الأسبوع الأول من أغسطس استدعت بريطانيا ١٢٥ ألفا من جنود الاحتياطى .. وفى فرنسا ، وبعد تعبئة جزئية أمكن استدعاء ٥٠ ألف جندي ، وبعدها بدأت قوات الغزو تتدرب فى سهل سالزبورى بجنوب بريطانيا . ثم جرى ارسال الجنود الى قواعد الغزو فى مالطة وقبرص .

ومن أجل استكمال استعدادات الغزو تم الاستيلاء على سفن تجارية لتعمل فى خدمة الحملة ومن أجل تدعيم الهجوم الجوى تمت زيادة اعداد الطائرات التى تحملها حاملات الطائرات البريطانية لتحمل من ٥ الى ٦ أسراب بدلا من السربين أو الثلاثة الأسراب المعتادة التى تحملها الحاملات فى الظروف العادية .

وفى خلال الأسابيع الأخيرة السابقة على الغزو تحركت مجموعات كبيرة من المقاتلات والقاذفات البريطانية والفرنسية متجهة الى قواعد قبرص ومالطة ..

وهكذا عندما بدأ الهجوم الجوى على مصر مساء يوم ٢١ أكتوبر كان عدد الطائرات التى تغير على مصر كالاتى :

طائرات بريطانيا :

- ٩ أسراب قاذفات فى قواعد لوقا وهالفار بمالطة .
- ٩ أسراب قاذفات فى قاعدة نيقوسيا بقبرص .
- ٢ سرب مقاتلات فى نيقوسيا .
- ٥ أسراب مقاتلات فى اكورتيرى بقبرص .
- ٢ سرب استطلاع جوى بالصوڤ فى اكورتيرى .
- ١ سرب استطلاع جوى فى لوقا .
- ٧ أسراب نقل جوى فى تمبو بقبرص .
- ١ سرب امداد جوى واتصال .

والمجموع ٣٥ سربا ونصف سرب .. اذا اضيف اليها ١٣ سربا من القاذفات فوق أسطح ٣ حاملات طائرات بريطانية ثم وحدتان من طائرات هليكوبتر للاقتحام فوق ظهر حاملتين أخريين ، ثم ٦ أسراب أخرى رابضة فى قواعد

بريطانية قريبة من مصر بالأردن أو عدن .. من هذا كله .. يتضح أن
لبريطانيا ٥٥ سربا ونصف سرب ووحدتى اقتحام هايوكبتر وكان هذا العدد
كله موجها لخدمة حملة مصر .

ولو اضيفت لهذه الأرقام قوة الطيران الفرنسى المخصصة لحملة مصر
.. وقد بلغت الآتى :

٢١ سربا فى قواعد قبرص واسرائيل .

٣ اسراب تعمل من فوق ظهور حاملات الطائرات الفرنسية .

يكون مجموع قوة الطيران الفرنسى ٢٤ سربا .

ولو اضيف الرقم الفرنسى لقوة الطيران البريطانى لاصبح المجموع
٧٩ سربا ونصف سرب .. كلها للهجوم على مصر من الجو .. ولو حاولنا
ترجمة هذا الرقم من أعداد الطائرات .. نجد السرب البريطانى يضم من
١ الى ١٢ (اثنى عشر) طائرة . وهذا يعنى أنه عموما تعرضت مصر
لهجوم ٧٩٥ طائرة الى ٩٥٤ طائرة نفائة .

وفى البحر .. أعدت حملة الغزو البحرية لتضم خمس حاملات طائرات
بريطانية تعمل كمطارات متحركة تقترب من الشواطئ المصرية .. وهى
الحاملات ايجل ، تيسوس ، بولو آرلت ، البيون ، أوشن .. بالإضافة الى
٥ طراد ، ١٢ مدمرة ، ٧ فرقاطة ، ٧ غواصة ، ٤ كاسحة الغام ، سفينة
لبث الألغام ، ١١ ناقلة جنود ، ١٤ سفينة لانزال الجنود والدبابات
ومجموعة أخرى من السفن بينما قدمت فرنسا لأسطول الغزو البحرى
البارجة جان بارت ، حاملتى الطائرات لا نيت وأروماشن ، ٢ طراد ،
٤ مدمرة ، ٨ فرقاطة ، ٢ غواصة ، وفى البحر الأحمر كانت قوة بحرية
أخرى مكونة من الطراد اينوفولاند والمدمرتين كرين وديانا البريطانيتين
والمدمرة جازيل الفرنسية .

ولم تكن هذه هى كل القوة المعدة لحملة مصر .. فقد كانت اسرائيل
قد سبقت غزو بور سعيد بهجومها على سيناء تصنع الذريعة المطلوبة ..
وكانت اسرائيل قد حشدت للهجوم على الجيش المصرى بسيماة قوة مكونة
من ١٨ لواء مشاة ومدرع ، ١٠ كتائب نبال ١٦ كتيبة مدفعية ، ١٩٢
طائرة مقاتلة و ٥٠ طائرة أخرى قاذفة قنابل ، ٢٣ طائرة نقل ، ٥٥ سفينة
بحرية وزورق ووحدات أخرى مساعدة .

ولو جمعت الحشود البريطانية والفرنسية والاسرائيلية التي وجهت ضد مصر خلال العدوان الثلاثي لوضع ان القوة التي هاجمت مصر كانت هائلة تحقق نصر التفوق بشكل مؤكد وبإحصائية أخيرة تبين القوى التي تهاجم مصر يبدو أن مصر تعرضت :

لهجوم يضم ٣٨ لواء من جنود المشاة ومن المدرعات يعتمد على قوة ضاربة تتكون من ٧٥٠ دبابة .. وتقدمت الحملة تحت طاقات ٢٥١٠ مدافع .. وبدأ غزو شاطئ بور سعيد في ظل فوهات مدافع بارجة و ٨ طرادات و ٢٠ مدمرة و ٢٠ فرقاطة و ٢٢ لنش طوربيد ترافقها ٩ غواصات وعملت ١٣٤ سفينة أخرى في خدمة الحملة تحمل جنودها وتزويدها وذخائرها .. وطائراتها .. وتم هذا كله في حماية ٢٨ سربا من المقاتلات و ٢٥ سربا من قاذفات القنابل .. كما ساهم في سرعة امداد الحملة ١٩ سربا من طائرات النقل الجوي .. وقام ٩ اسراب ونصف سرب من طائرات الاستطلاع تسبق اقتراب الحملة من مصر للاستكشاف علاوة على خدمات سربين هليكوبتر اقتحام و ١٥ سربا للامداد الجوي .

ان هذه الأرقام تعكس صورة كاملة لذلك الحشد الرهيب من الجند والسلاح الذي تحرك محيطا بمصر مع نهاية أكتوبر ١٩٥٦ ولكن لم يكن اعداد الحملة بهذا التفوق الكبير هو كل شيء في خطة الغزو . فلم تتقيد الحملة في استعدادها بنمط الهجمات الهتلرية الهائلة التي تعرضت لها أوروبا في الحرب الثانية .. فبجانب التفوق الهائل في السلاح اعتمدت الحملة على عامل آخر .. هو الخداع ..

كيف ؟ ..

لقد جرى الاعداد للحملة من خلال شبكة ممتدة من الخداع تخفى قوة الغزو نفسه .. كانت مسرحية الأردن جزءا من الخدعة .. فبتكرار الاعتداءات الاسرائيلية على حدودها ظهر كان « العين » على الأردن لا مصر .. وقد كانت أحداث الأردن في بداية أكتوبر كفيلة بالتأثير على نقطة مصر .. لكن مسرحية الأردن لم تكن كل الخدعة . فقد لعب ايدن أيضا دور رجل البوكر أى وجه الرجل الذى ينطق بتعابير مخالفة لما يبطن .. ففى اليوم الذى هاجمت فيه اسرائيل سيناء كان نفس اليوم الذى سيلتقى فيه لويد بوزير الخارجية المصرية محمود فوزى لوضع تسوية نهائية لمشكلة قناة السويس .. ولزيادة الخدعة ألغت لندن قبل تحرك العدوان حالة التعبئة التي تعيشها الفرقة العاشرة في قواعد ليبيا ، وكأنها تريد

اقناع مصر بأن كل فكرة لاستخدام العنف قد انتهت .. وعندما تحرك اسطول الغزو من قبرص ومالطة يوم ٢٥ أكتوبر أعلن أن الغرض من تحركاته هو القيام بالتدريبات السنوية المعتادة في عرض البحر . وكجبة أخيرة للخدعة صدر التصريح البريطاني الشهير بعد بدء العدوان الاسرائيلي على سيناء يؤكد .. ان بريطانيا لا تنوى التدخل فيما يجري بين مصر واسرائيل . وكان هذا التصريح تشجيعا لمصر للصيد المطلوب لتدخل المصيدة المنصوبة في سيناء . ثم تأتي الحملة البريطانية الفرنسية الى بور سعيد لتقفل باب المصيدة على الجيش المصري في مؤخرته .

ولقد لعب عامل الخدعة دورا أساسيا في تفكير قادة الحملة وهم يقتربون من بور سعيد .. ففي أكثر من يوم فكر قادة الحملة في الإسراع بغزو بور سعيد ليصبح العالم أمام الأمر الواقع .. وهو وصولهم الى بور سعيد واحتلالهم لها قبل الموعد الأصلي المحدد لتنفيذ خطة الغزو موسكتير المعادلة النهائية . وقد اعتمدت معظم هذه الأفكار الطارئة للإسراع بغزو بور سعيد على اعتقاد راسخ بأن الخدعة قد نجحت . وأن القوات المصرية الرئيسية متورطة داخل سيناء . وأصبح الطريق عبر القناة سهلا بلا مقاومة الدبابات المصرية . وأنه عندما يجري غزو بور سعيد تأتي الخدعة بنتائجها . يرتك الجيش المصري بعد أن توجه له ضربة من الخلف من الهجوم البريطاني الفرنسي ، ولما كان الجيش كالرجل على حد تعبير ليدل هارت فهو محتاج للدوران الى الخلف ليستخدم ذراعيه ليدافع عن نفسه وهذا الدوران يفقد الجيش عنصر التوازن كما يحدث للرجل .. وفي لحظات الارتباك يبدأ غزو بور سعيد بقوة محدودة من قوات المظلات ويتم احتلال المدينة سريعا بلا مقاومة ، بعد أن يسبق هذا الهجوم غارات عنيفة على بور سعيد تدمرها كبيض مكسور .. وسميت هذه الخطة باسم مشتق من البيض المضروب وهو « أومايت ١ » ثم تعدلت الى الخطة « أومايت ٢ » أو الخطة ساملكس كما اشتهرت .



ولقد اعتقد قواد الحملة بضرورة الإسراع بغزو بور سعيد ليس فقط تحت تأثير الاعتقاد بأن طريقهم عبر القناة أصبح مفتوحا بنجاح خدعتهم واعتقادهم أن القوات المصرية الرئيسية متورطة داخل سيناء أمام الجيش الاسرائيلي .. ولكن كان هناك عامل آخر له تأثيره .. هو العامل الثالث أو الدور المطلوب من شعب مصر ..

فطبقا لخطة الغزو الأصلية موسكتير المعادلة النهائية .. كان مقدرا

يوم ٦ نوفمبر كتوقيت لبدء غزو بورسعيد ولكن منذ صدور الإنذار البريطاني الفرنسي لمصر (يوم ٣١ أكتوبر) بدأت لندن وباريس تلحان في الإسراع بالغزو ليس لوضع العالم امام الأمر الواقع فقط ولكن لاعتقاد آخر .. هو توقعهم حدوث شيء داخل مصر .. أن تنتهى المقاومة المصرية سريعا بتأثير الاغارات الجوية . وترتفع الأعلام البيضاء فوق المدن المصرية . وتفتح الأبواب امام الحملة .. ولذلك رأى قواد الغزو انه لا بد من خطة لتحرك قوات الحملة سريعا الى مصر لتكون في انتظار الثمرة عندما تسقط بعد نضجها .. وحتى تتولى الحملة أمر مصر وتسير أمورها . ولقد كانت هذه هى أحد الأهداف الرئيسية للخطة « ساماكس » ..

وليس معنى ذلك أن خطة الغزو الرئيسية موسكتير المعادلة النهائية قد صرف النظر عنها .. وانما ظلت هذه الخطة هى أساس الغزو بينما كانت هذه الخطط الطارئة « اومليت ١ » و « اومليت ٢ » او « الخطة ساماكس » كانت هذه الخطط توضح الأفكار الخيالية للندن وباريس عن مصر وشعبها .. بل لقد اعتمدت خطة الغزو الرئيسية موسكتير على عامل التأثير على شعب مصر وبت الشق الثانى من الخطة او ما يسمى (بالخطة ب) على رد فعل شعب مصر فى مواجهة الحرب .. واعتمد القادة من لحظة تعديلهم لاتجاه الغزو من الاسكندرية الى بورسعيد على الدور المطلوب فى خيالهم .. من شعب مصر . ولذلك حرصوا على تقسيم خطة الغزو الى الجزء (١) والجزء (ب) .. وظلوا يعتقدون أن هدفهم سيتم بتقديم الغزو من بورسعيد الى الاسماعيلية .. وسريعا يحدث كل ما هو مطلوب وتفتح الابواب امامهم . ويترك المصريون سلاحهم . ويتم استرجاع مصر .

وكاحتمال آخر (ظنوا أن تحققه ليس مؤكدا) .. أن يقاوم شعب مصر ويستमित فى قتال حملة الغزو .. تنفذ الحملة الجزء ١ و « الخطة ب » من خطة موسكتير النهائية . وفيها كان على الجنرال هيوستوكويل قائد القوات البرية للحاق بطلائع الغزو الاولى التى يقودها بتلر والريبر ادميرال .. مارتن .. لينضم اليهما بالفرقة ٣ المشاة اللواء ٥٠ و ٥١ المشاة المستقل وكتيبتان من مجموعة اللواء ١٦ المظلات والآلى ٦ المدرع وآلاف سيارات مدرعة وكتيبة من الفرقة الأجنبية الفرنسية والآلى ٧ الخفيف ثم تلحق قوة هيوستوكويل بالقوات التى سبقته الى الاسماعيلية ويتجه الجميع لمهاجمة القاهرة فى شكل كماشة .. أحد حديها يمتد من السويس الى القاهرة حيث ستتقدم القوات الفرنسية من الاسماعيلية .. والحد الآخر مكون من القوات البريطانية التى ستتقدم الى أبو صوير ثم الى القاهرة ..

ولقد أعدت كل تدابير التأثير على معنويات شعب مصر .
كان الضغط الاقتصادي الذى تلا التأمين مباشرة وسيلة الخنق ..
وكانت اذاعة اخبار الاستعدادات العسكرية وترديد نفمة التهديد
وسيلة اخرى ..

وكانت الحرب الاذاعية التى وجهت ضد مصر وأسندت الى الضابط
البريطانى البريجادير برنارد فيرجوسن وسيلة رابعة .
وكان سبيل المنشورات الذى غمر المدن المصرية يحمل أسلوب التودد
ثم ينقلب الى أسلوب التهديد وابرز الانياب وسيلة خامسة ..
وكانت الاغارات الجوية الشديدة وسيلة رئيسية اعتمدوا عليها لتفجير
قنبلة اخرى من الخوف فى قلب كل مصرى ..

لكن ماذا حدث ؟ ..

اجابة ندركها جميعا اليوم .. حتى وهم التأثير على شعب مصر كان
نتيجة تجربة ساذجة عاشتها بريطانيا يوم غزو مصر فى القرن الماضى ..
كان لديها الخديوى الذى تتبع ضرب الاسكندرية من قصره على الشاطئ
وكان فى مصر عملاء طموحون ينظرون للحكم مثل سلطان باشا . امم شعب
مصر نفسه لتكفى شهادة عرابى عنه فى خطاب له بعد الاحتلال البريطانى
يقول فيه : « النفقات التى تكلفها ١٠٠ ألف جندى مصرى اثناء الحرب
قد دفعتها كلها هبات اكتب بها الشعب المصرى . بالرغم من أن عدد
الجيش لم يزد على ١٠ آلاف جندى تحت السلاح عند ابتداء الحرب ، ثم
ينهى عرابى خطابه : « عند انتهاء الحرب كان فى خزائن الجيش والمديريات
والمخازن ما يزيد على مليون جنيه . تبرعت بها الامة للجيش الذى يدافع
عن بلاده » .. كان هذا هو موقف شعب مصر من قبل ولم تدركه
بريطانيا .

وفشل الغزو رغم كل ما جمعه من رجال وسلاح .. وبرغم الخديعة
.. ولعل افضل تعليق على نهاية الغزو الاستعمارى هو كلمة اذو « ان
ما يفكر فيه الانسان شيء . وما يفعله القدر شيء آخر » ..
لكن .. هل كان القدر وحده هو الذى انتهى قصة حملة مصر فى أحلك
ظلمات الفشل ؟ ..

أين كانت مصر من كل هذه المؤامرات والخطط التى كانت تدبر
لغزوها ؟ ..

هل كانت أحداث نهاية اكتوبر مفاجأة غريبة عليها ؟ ..

٣ احتمالات عسكرية أمام القيادة المصرية

سؤال منطقي بعد ذلك السرد المتشابك لخطط الغزو العديدة ابتداء من خطة قادش الى خطط غزو الاسكندرية هاميلكار وموسكتير الاولى . حتى تحددت خطة الغزو نهائيا وتعطى لاسرائيل دور الطعم الذي يشد انتباه مصر الى تلال سيناء ثم تأتي الحملة البريطانية الفرنسية الى بورسعيد ، تقفل طريق العودة على الجيش المصرى وتجد الطريق الى القاهرة مفتوحا بلا مقاومة جديدة ..

هل غفلت القاهرة عن كل هذه الخطط ؟

هل جرتها الخدعة الى سيناء ليقع جيشها في المصيدة ؟

والا فآين كانت مصر اذن من كل هذه المؤامرات ؟

هنا لابد لشرح موقف مصر في الفترة التالية للتأميم ، وتوالى تهديدات لندن وباريس .. من عرض لصورة التيارات التى احاطت بمصر من كل جانب ، تحمل معها عدة احتمالات . ولقد كان السؤال الملح فى الأسابيع الاولى للتأميم والذي يعرض أمام القاهرة يحاول تفهم (نوايا كل هذه التهديدات التى تبشر بالغزو والبحث عن الاتجاه المحتمل أن تسلكه حملة الغزو الموجهة ضد مصر) ..

وفي محاولات استكشاف اتجاه الغزو المحتمل كانت الصورة المحيطة بمصر تبدو اكثر تعقيدا . وتبدو مصر داخل خريطة الشرق الأوسط فى ملتقى عدة اتجاهات كل منها يصلح لأن تسلكه الحملة القادمة لغزو أراضيها .. وبالتحديد كانت طبيعة موقع مصر الجغرافى ، وطبيعة حدودها تشير الى وجود ثلاثة طرق رئيسية يمكن أن يأتى منها الغزو .

ثلاثة طرق إلى مصر

كان الطريق الاول يأتى من وراء أمواج البحر المتوسط .. من جزيرة قبرص ومن شواطئ اسرائيل ومن قواعد حلف بغداد .. وقد كان قدوم الحملة من هذا الاتجاه - الشمالى الشرقى - يوصلها الى أهم أهدافها المطلوبة فى مصر .. وهى القناة .. وعلى طول هذا الاتجاه كانت لبريطانيا أو اسرائيل أكثر من قواعد عسكرية يمكن أن تبدأ منها حملة الغزو .. ومجموعة أخرى من المطارات الحربية تزيد على الثلاثين .

وكاحتمال آخر .. كان هناك اتجاه الريح العكسية التى تهب على شواطئ مصر تدفع الاشرعة فى النيل الى الجنوب بحركتها القادمة من الشمال الغربى .. ومن اتجاه هذا الريح العكسية كان احتمال الطريق الثانى للحملة قادما من عشرات القواعد العسكرية المنتشرة على طول ساحل افريقيا على البحر المتوسط (وقتها) وخلفها مالطة والشواطئ الفرنسية نفسها . وفى مواجهة ذلك الطريق مدينة الاسكندرية ثانى المدن المصرية .. بما تحمله من أهمية ، ومن تأثير لو سقطت فى يد الحملة .

اما الطريق الثالث .. وان كان أكثر صعوبة .. الا ان القدوم منه محتمل وفى نقط عديدة منه تمتد بامتداد ساحل مصر على البحر الأحمر ، ابتداء من رأس بناس جنوبا الى السويس شمالا .. وخلف هذا الساحل الى الجنوب فى نهاية البحر الأحمر هناك القاعدة .. البريطانية فى عدن والقاعدة الفرنسية فى الصومال الفرنسى ثم ٨ قواعد منتشرة على أرض الجنوب المحتل ومن شرق افريقيا الى الخليج العربى .. وعلى طول هذه المنطقة هناك أكثر من ٤٠ مطارا حربيا يمكن استخدامها ..

تلك كانت أهم الطرق المؤدية الى مصر ..

فمن اى الاتجاهات ستأتى حملة غزو مصر ؟ ..

ان كل طريق من هذه الطرق الثلاثة يؤدى الى غرض هام داخلى طريق الشمال الشرقى يؤدى الى قناة السويس .

والطريق الثانى القادم من الشمال الافريقى ومالطة يؤدى مباشرة الى الاسكندرية ثانياة المدن المصرية .

وطريق الجنوب عبر البحر الأحمر يؤدى الى خليج السويس ثم الطرق العديدة التى تربط شاطئه الغربى بوادى النيل من القاهرة حتى أسوان الهامة .. الرمز الذى تبنيه مصر لمستقبلها الصناعى ..

ومن اى طرق من الطرق الثلاثة عند نهايته القاهرة .. العاصمة السياسية لمصر ..

هذه هى الصورة المعقدة التى احاطت بمصر فى الأسابيع الاولى للتأميم .. بينما كانت الحشود البريطانية والفرنسية المتجهة الى قبرص ومالطة تستدعى ضرورة ان تفكر مصر فيما يجرى حولها . وان تتخذ وضعاً مناسباً لتكون مستعدة أمام احتمال تحول صيغة تهديدات ايدن وموليه الى عمل مسلح مباشر ضدها .

البحث عن إجابة

تحت تأثير هذا المناخ السياسى والعسكرى المحيط بمصر ... بدأت القيادة العامة للقوات المصرية تعد تقدير الموقف .. وتعيد مراجعة خططها على ضوء ما يجرى حول مصر .

فى هذا الصدد اتخذ تفكير القيادة المصرية أسلوب رحلة هادئة تقيس كل الاحتمالات .. وتضع أمامها أسئلة محددة .. تبدأ بسؤال ثم تبحث له عن إجاباته الحقيقية المؤكدة لتنتقل الى سؤال آخر يسلمها الى سؤال ثالث .. ولقد كانت رحلة استطلاع الواقع - كما يحيط بمصر فى ذلك الوقت - رحلة شاقة صادفتها عشرات التساؤلات ..

ولقد كان السؤال الذى يبدو كمقدمة لتقدير ماذا تكون عليه الخطط المصرية ، هو محاولة تقدير الاتجاه الذى ستعرض منه مصر للغزو وقد كان تقدير اتجاه الغزو يعتمد على عامل آخر هو تقدير القوات البريطانية والفرنسية التى يمكن أن تخصصها لحملة غزو مصر . فعلى قدر القوات البريطانية الفرنسية فى قواعد البحر المتوسط القريبة من شواطئ مصر كان يتوقف اتجاه حملة الغزو كما قدرت القيادة العامة المصرية وقتها .

ولذلك كان السؤال أمام القيادة المصرية .. ما هى القوات .. البريطانية والفرنسية المتوفرة فى قواعد شرق البحر المتوسط ؟ ..

وجاءت الإجابة اعتمادا على مذكرة قدمتها المخابرات الحربية المصرية .. ومن خلال المذكرة وضحت صورة القوات القريبة من مصر كالآتى :

فرقتا مشاه بريطانية واللواء المدرع الفرنسى السابع ولواء مظلات من الفرقة العاشرة الفرنسية .. وهذه القوات الجاهزة للعمل .. لكن يمكن تدعيم هذه القوات بتعزيزات بريطانية أخرى تتضمن مجموعة لواء مظلات تأتى من الجيش الاقليمى فى بريطانيا نفسها ومعها مجموعة لواء مظلات .. كما يمكن لبريطانيا تدبير فرقة أو فرقتى مشاه تحتفظ بهما فوق الجزر البريطانية وترسلهما الى البحر المتوسط .. ومن المانيا يمكن استدعاء فرقة مدرعة من قواتها هناك لتخدم حملة الغزو ..

وفى محاولة التقدير خرجت القيادة المصرية بنتيجة أخرى وهى انه يمكن لكل من بريطانيا وفرنسا تعزيز قواتهما الجوية والبحرية فى شرق البحر المتوسط بسرعة .. وان كان مدى امكانية تجميع الطائرات لحملة مصر يعتمد على قدرة القواعد على استقبالها ..

و كحقيقة يجب ادراكها .. فعندما اجرت القيادة المصرية تقديرها للقوات البريطانية والفرنسية الممكن تجميعها للخدمة في حملة مصر .. هنا لم تغفل القيادة المصرية ادخال اسرائيل في حسابها للقوى الممكن ان توجه لمصر . ولم تغفل ان اسرائيل يمكن ان تؤدي دورا او خدمة لحملة غزو مصر .

وطبقا للنص الحرفي ، لتقدير القيادة العامة للقوات المسلحة المصرية للموقف وفيما يختص بتقاريرها لما يمكن لاسرائيل المساهمة به .. في حملة مصر .. جاء النص الآتي في البند (هـ) :

« من المحتمل تعزيز الطاقة العسكرية للقوات البريطانية - الفرنسية بتدخل اسرائيل في العمليات ضد مصر وسوريا بتقديم التسهيلات الميسورة في اراضيها لخدمة القوات الانجليزية - الفرنسية وبالسماح لها بالمرور عبر هذه الاراضي » .

الاطار الكبير

لكن لم يكن هذا هو كل تحليل القيادة المصرية للدور الذي يمكن ان تلعبه اسرائيل ..

وكتحفظ اساسي هنا .. لابد ان يكون واضحا ان التقدير لم يكن يتناول نوايا اسرائيل بصفة خاصة .. بل ذهب كل البحث في اطار اكبر هو تقدير ما ستكون عليه التهديدات البريطانية الفرنسية الموجهة ضد مصر .. ومن خلال هذا التقدير تمثلت اسرائيل جانبا من الصورة لكنها ليست كل الصورة ..

ولقد كانت محاولة تقدير القوى البريطانية الفرنسية نقطة بدء لمحاولة تصوره القيادة المصرية لاتجاه ربح الحرب التي ستهب على مصر .. وعلى ضوء هذا التقدير بدأت القيادة المصرية في اجتماعها في سبتمبر عام ١٩٥٦ تقيس في دقة مدى الخطوات العسكرية التي يمكن لبريطانيا وفرنسا الاقدام عليها ..

وهنا اتجه التقدير العسكري المصرى الى طرح اسئلة جديدة .. ماذا يمكن لبريطانيا وفرنسا عمله بفرقتي المشاة واللواء المدرع ولواء المظلات الموجودة لديها فعلا في قواعد شرق البحر المتوسط ؟ .. هل يمكنها تدعيم هذه القوات سريعا ؟ .. والى اى حد يمكنها تدعيم هذه القوات ؟ وكم يستغرق هذا التدعيم ؟ ..

ثلاثة احتمالات

وفي محاولة الاجابة على هذه التساؤلات وجدت القيادة المصرية انها
امام احتمالات مختلفة ..

الاحتمال الأول :

أن تقوم بريطانيا وفرنسا بالهجوم على مصر بالقوات الجاهزة فعلا في
القواعد القريبة شرق البحر المتوسط .. وهنا يمكن للحملة البريطانية
الفرنسية أن تحقق بعض الاهداف :

أولا : يمكن للبحرية البريطانية الفرنسية عزل مصر على طول شواطئ
البحر الأحمر والبحر المتوسط بواسطة حزام بحرى .. تمنع عنها
اى اتصال بما حولها .

ثانيا : ستتعرض مصر لاغارات جوية شديدة تستهدف فيها الطائرات
البريطانية والفرنسية تدمير سلاح الطيران المصرى .. والتأثير على
معنويات الشعب المصرى .

ولكن برغم هذه الظروف التى ستصاحب الاغارات الجوية والحصار
البحرى .. فقد قدرت القيادة العامة للقوات المصرية ان الحملة بقوة فرقتى
مشاه ، ولواء مدرع ، ولواء مظلات لا يمكنها القيام بغزو لمصر .. وانما يمكن
لهذه القوة ان « تحقق هدفا محدودا » ..

وعند بحث هذا الاحتمال الأول .. قدرت القيادة الصرية ادورا لاسرائيل
لمساعدة الحملة على مصر وهى تواجه الجيش المصرى ، فقد قدرت ان
اسرائيل يمكنها ان تشد جزءا من جيش مصر مبعده اياه عن طريق الحملة
.. كما قدرت ان اسرائيل يمكنها ان تساعد الحملة بأن تقدم لها مبرر
تدخلها ضد مصر .

وينص مافى التقدير المصرى عن هذا الاحتمال الخاص بدور اسرائيل
جاء فيه :

« يمكن فى هذه الظروف استغلال الطاقة العسكرية الاسرائيلية لاجتذاب
قسم من المجهود العسكرى المصرى وتشتيته ، وخلق المبرر الكافى لتدخل
القوات الانجليزية الفرنسية تدخلا حاسما سريعا » .

اما الاحتمال الثانى : الذى قدرته القيادة المصرية .. فهو محاولة
بريطانيا وفرنسا حشد قوات كبيرة ، لتحاول تدمير القوات المسلحة المصرية

.. وخرجت القيادة المصرية وهى تقدر هذا الاحتمال بالنتيجة الآتية :

« انتظار الدولتين الغربيتين حتى اتمام هذا الحشد (الحشد الكامل لقواتهما) قد يفوت الفرصة للقيام بعمل مفاجيء كما يعطى الفرصة لمصر لاحكام تدابيرها » .

ويبقى الاحتمال الثالث :

عند هذا الاحتمال قدرت القيادة المصرية امكان تحرك حملة مصر بما لديها من قوات برية فى قواعد شرق البحر المتوسط لتحقيق فى مصر « هدفا استراتيجيا » .. بينما هى تقوم فى نفس الوقت بحشد قوات اضافية تلحق بالحملة من بريطانيا والمانيا .. وبينما تكون القوات الاولى قد بدأت عملياتها على شواطئ مصر .. تأتى القوات الاضافية خلفها تدعمها حتى تكتمل محاولة الوصول لهدف الحملة وهو تدمير القوات المصرية .

اما تلك الاحتمالات الثلاثة للهجوم على مصر وهى :

— احتمال الهجوم بالقوات البريطانية والفرنسية المحدودة .. لكن الهجوم لن يحقق الغرض منه وهو تدمير جيش مصر .. وهذا هو الاحتمال الاول .

— ثم الاحتمال الثانى .. وهو الانتظار حتى يتم تجهيز حملة كاملة لضمان تحقيق الهدف المقصود من الغزو .. والذى يعيبه ان عامل الزمن ليس فى صالحه .

— ثم الاحتمال الثالث .. وهو الهجوم بما هو متوافر من قوات ثم دفع قوات اضافية لتعزيزه .

.. هنا اتخذت القيادة المصرية موقفا محددا .. اعتبرت ان الاحتمال الثالث هو اقرب الحلول وانسبها .. وعند هذا الحد من رحلة البحث عن نوايا حملة الغزو وصلت الى سؤال جديد ..

اذا قامت بريطانيا وفرنسا بالهجوم على مصر بالقوة المحدودة التى لديها فى شرق البحر المتوسط .. وحركتا فرقتي المشاة واللواء المدرع ولواء المظلات .. ثم دفعت خلفهما قوات اخرى تأتى من المانيا والجزر البريطانية كمحاولة للسيطرة على عامل الزمن وكسب الوقت .. فمن اين سيبدأ هذا الغزو ؟ ..

ان هناك أكثر من طريق يمكن للغزو أن يأتي منه .. وهناك أكثر من خدمة يمكن أن تدبر لأمر للايقاع بجيشها .

— هناك اتجاه الاسكندرية .. اليها تتجه حملة الغزو ..

— وهناك القناة نفسها بكل ما فيها من اغراء يمكن أن يشد حملة الغزو ، ويحفز بريطانيا وفرنسا على توجيه الغزو اليها .

مزايابورسعيد

في تحليل القيادة المصرية لمزايا اتجاه حملة الغزو الى القناة . من وجهة نظر بريطانيا وفرنسا .. في هذا التحليل قدرت القيادة أن غزو القناة سيحقق للحملة عدة مزايا .

ان حملة الغزو ستحصل على « أنسب قاعدة » (عند القناة) فيها تجمع قوات الغزو وتعيد تنظيمهم للهجوم على القاهرة .. هذه هي أولى المزايا ..

واستيلاء الحملة على منطقة القناة ، سيجعل مطارات القناة تحت سيطرتها .. وهذا يجعل الطيران البريطاني الفرنسي يجد مطارات لمساعدة الحملة وهي تتحرك نحو القاهرة في المرحلة الثانية للغزو .. وهذه ميزة ثانية لغزو القناة .. تترتب عليها ميزة ثالثة لصالح الغزو نفسه .. فالطيران المصرى سيحرم من هذه المطارات .

ثم ميزة رابعة .. ان حملة الغزو ستجد عند منطقة القناة امكانيات جديدة تزيد فعاليتها وقوتها .. فعند القناة ستجد المخازن البريطانية التى تركتها بعد الجلاء .. وبها سيارات وبنزين وذخيرة .. وكل هذه الامكانيات ستوضع فى خدمة الحملة .. ولن تضطر الحملة الى النظر خلفها الى شاطئ البحر المتوسط تنتظر وصول الامدادات لها من بعد عدة مئات الكيلو مترات .. من قبرص ومالطة .. انها ستجد كل طلباتها تحت يديها فى مخازن القناة .

إسرائيل دائماً

لكن لم تكن هذه المزايا الثلاث هى كل ما ستحققه حملة الغزو لنفسها لو اتجهت الى القناة مباشرة . فدائماًو خلال تحليل القيادة المصرية ناظرة لخريطة مصر بين دول الشرق الأوسط .. فى محاولتها كانت ترى ما يدور وراء مياه البحر المتوسط بعين .. بينما « العين الأخرى » على إسرائيل .

وحتى عندما درست القيادة المصرية احتمال غزو مصر من اتجاه بور سعيد وضعت دائما في ذاكرتها أن إسرائيل قد يسند لها دور على مسرح الحرب المتوقعة .. لتحتل الحملة الغازية ميزة رابعة لها وهى استخدام إسرائيل « كطعم » يشد انتباه القاهرة ويجعلها ترسل جزءا من جيشها الى سيناء تحت تأثير عمليات حربية تقوم بها إسرائيل عبر سيناء .. وهنا يمكن لاسرائيل اخلاء الطريق امام الحملة من بعض القرى المصرية المقاومة ..

ولذلك فعند مناقشة القيادة المصرية لهذا الاتجاه الذى قد يسلكه الغزو بادئا ببور سعيد .. هنا ذكرت هذا الدور المقترح لاسرائيل لمساعدة الغزو البريطانى الفرنسى ، متخيلة اياه خلال تحليلها .

« عزل قواتنا فى الجبهة الشرقية (سيناء) وعلى الاخص فى حالة تعاون القوات الاسرائيلية ونجاحها فى اجتذاب قسم من قواتنا اليها .
هكذا صراحة ومنذ سبتمبر لم تنس القيادة العامة المصرية ان اسرائيل وراء خط الهدنة .. وانها قد تقوم بدور انتهازى خلال جو الحرب الذى يقترب من مصر ..

وايضاحا للحقيقة والتزاما بما حدث واقعيا خلال تلك الايام التى تنتظر فيها مصر تحرك الغزو .. فلم تكن كل الصورة واضحة تماما .. وانما كانت المحاولة مجرد محاولة لتقدير ما يمكن أن تفعله بريطانيا وفرنسا ضد مصر .. ثم ما يمكن لاسرائيل أن تشارك به عندما تثار أعيرة الحرب ..

لكن برغم ذلك كله فقد مست المحاولة أرضا حقيقية .. لم تكن مرحلة التقدير مجرد بحث بلا قواعد وانما جرت المحاولة تكتشف المجهول المحيط بمصر تستند الى كل ما لدى مصر من معلومات جمعتها ، وبكل قواعد العمل العسكرى .

لقد كان هناك احتمال قدوم الغزو على اتجاهين .. جزء من الحملة يتجه الى الاسكندرية .. وجزء يتجه الى بور سعيد .. وهذا الاحتمال الثالث لاتجاه الغزو لم يسقطه تقدير القيادة العامة المصرية من اعتباره .. بل اعطاه جزءا من النقاش .. وبقيت جميع كل هذه الاحتمالات لاتخاذ موقف — ماذا يكون عليه موقف القوات المسلحة المصرية ؟

وكان يسبق هذا السؤال .. سؤال آخر يقود اليه كل التحليل .. وهو :

— وماذا تريد حملة الغزو من مصر ؟
وجاءت الاجابة .. تدمير القوات المسلحة المصرية باعتبارها السند
الايجابى للسياسة المصرية ..

وقادت هذه الاجابة الى سؤال ثالث لاحق ..
— وكيف يمكن منع بريطانيا وفرنسا من تحقيق هدفهما ؟
عند هذا الحد من التحليل ظهرت خطوط سياستنا الدفاعية فى الفترة
التالية للتأميم .. وتحول تقييم الموقف الى محاولة لاتخاذ موقف وقرار .

قرارات مصرية

وصدر قرار القيادة العامة المصرية .. واعتبرت القيادة المصرية أن
الخطر الذى تتعرض له مصر .. هو خطر متجه نحو أرضها مباشرة الى
قلب مصر .. ولذلك يعتبر التهديد الانجليزى الفرنسى لمنطقة القناة
والدلتا هو التهديد الرئيسى لسلامة الجمهورية .

كان هذا هو قرار مصر .. ولم تكن الحملة البريطانية الفرنسية قد
تحركت ضد مصر بعد ولم تكن المدن المصرية قد تعرضت للاغارات الجوية
.. فقد كان الزمن وقت صدور القرار مازال بداية سبتمبر .

ومن هذا الاحساس بالخطر الحقيقى اصدرت القيادة المصرية عدة
قرارات اخرى ..

— امام الخطر خطر وقوع القوات المصرية فى فخ سيناء قررت
تخفيف قوات سيناء الى الحد الذى لا يفرى اسرائيل بالهجوم بطبيعتها
الانتهازية .

— وامام الخطر الموجه لقاب مصر عبر القناة والدلتا قررت القيادة
المصرية حشد القوات الرئيسية فى مواجهة الأماكن المعرضة للغزو واعتبار
المثلث الممتدة اضلاعه بين بور سعيد - السويس - القاهرة ، هو منطقة
المجهود الرئيسى للقوات المسلحة .

— وامام خطر الهجمات الجوية العنيفة على المطارات المصرية ..
قررت القيادة المصرية توزيع الطائرات المصرية على اكبر عدد من القواعد
.. لكن مع الاحتفاظ بامكانية جمعها لتوجيهها لضرب أى محاولة للغزو .

تلك صورة سريعة لأفكار القيادة العامة المصرية قبل أن تلقى إسرائيل مظاهراتها عند ممر ميتلا وقبل أن تحلق النفاثات البريطانية فوق مصر ..

لقد كانت مصر تنتظر الغزو البريطاني الفرنسي وهي ترى ما يجرى وراء البحر المتوسط بعين .. وترى ما يجرى وراء خط الهدنة مع إسرائيل بالعين الأخرى .

اذن ، لم تكن جوانب الصورة ضائعة وليست معلومة .. ولم يغيب عن قيادة جيش مصر من أين سيأتى الخطر .. ولم يغيب عنها أيضا احتمال قيام إسرائيل بشيء ما لخدمة الغزو وانتهاز الفرصة ..

هذه هي الحقيقة كما يظهرها تقرير القيادة المصرية الذى صدر فى ٦ سبتمبر عام ١٩٥٦ .. فى تاريخ يسبق تاريخ الغزو بشهرين ..

وكما توقعت القيادة المصرية بدأت إسرائيل تحاول اجتذاب جزء من جيش مصر الى سيناء ، محاولة اخلاء الطريق أمام الحملة البريطانية الفرنسية ..

وتبعها الغزو .. وكانت الحرب ..

واحد إلى عشرة

لكن تلك الحقيقة التى اكتشفت ان الخطر موجه لقلب مصر نفسها .. ترتبت عليه حقيقة أخرى . فان الاهتمام بالدفاع عن قلب مصر . يجعل القيادة المصرية تخفف قواتها بسيناء مرة أخرى علاوة على ما تم سحبها خلال شهر أغسطس لمواجهة التهديدات البريطانية وتحريكها الى داخل مصر لمواجهة الخطر .. ولذلك فعندما تحركت إسرائيل تهاجم سيناء .. لم يكن لمصر لحظة بدء العدوان فى الساعة الخامسة من يوم ٢٩ اكتوبر سوى قوات محدودة تتكون من ٨ كتائب مشاة وكتيبة دبابات من طراز قديم و ٣ كتائب ونصف كتيبة مدفعية .

وبمقارنة بسيطة ..

كان كل جندى مصرى بسيناء يواجه أكثر من ٤ جنود إسرائيليين .. وكل دبابة مصرية عليها مواجهة ١٠ دبابات اسرائيلية ..

وليس المقصود من هذه المقارنة سوى توضيح لجوانب الموقف عبر رمال سيناء لحظة بدء العدوان ..

ولقد كان لدى قيادة سيناء المصرية خطتها التى اسندتها اليها القيادة العامة منذ سبتمبر ..

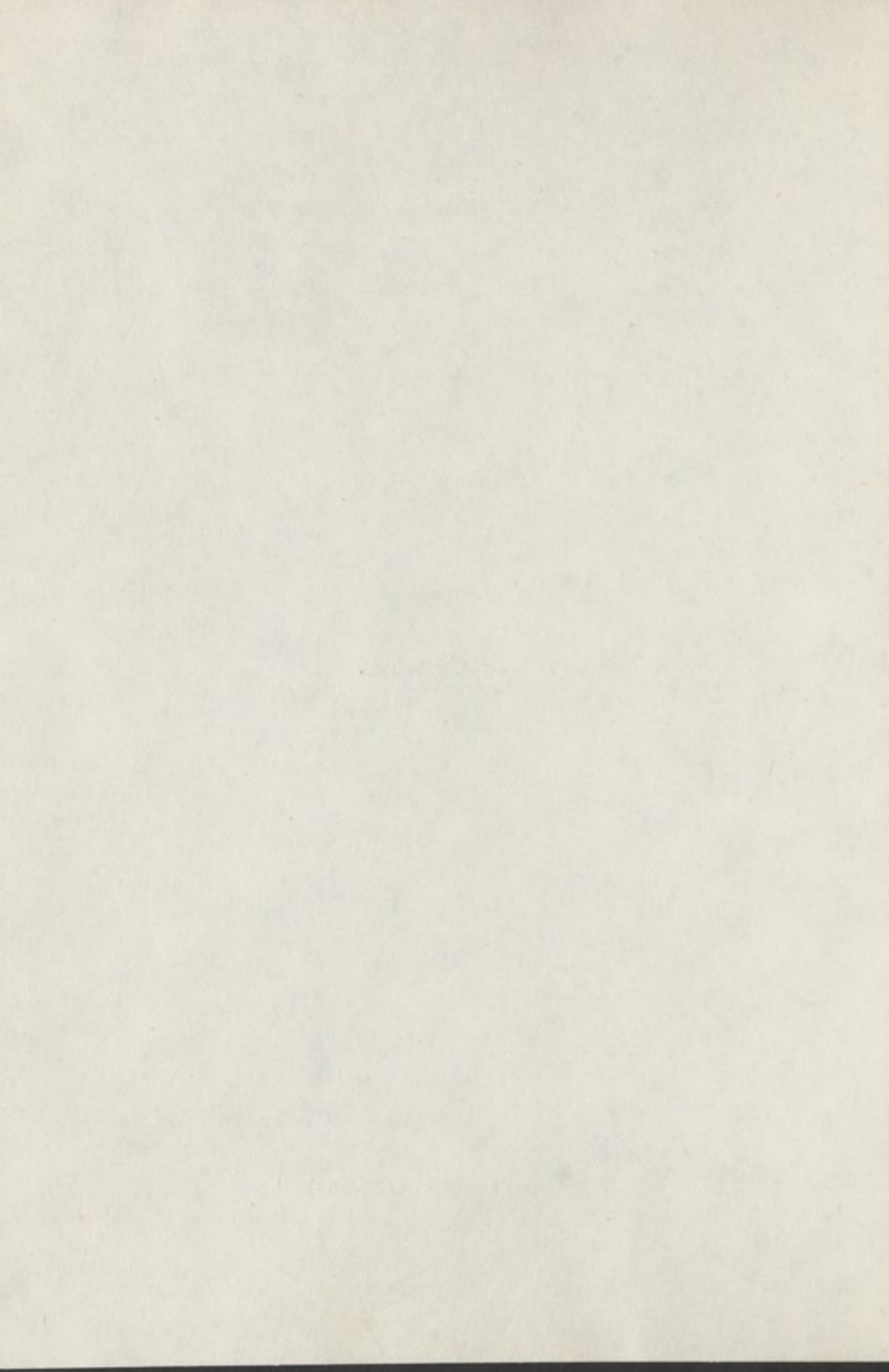
وطبقا لتعليمات القيادة العامة المصرية كان على قوة سيناء القيام بمهمة أساسية وهى :

— استنزاف القوات الاسرائيلية الى أبعد مدى ومنعها من الحصول على أية مكاسب استراتيجية .. حتى ولو لم تصلها معونة برية فعالة .. بل لقد وضعت قيادة سيناء فى وضع يمكن معه سحب عناصر أخرى من قواتها الرئيسية فى منطقة القناة اذا استدعت الظروف ذلك ..

* * *

على ضوء هذه الخطة التى رسمتها القيادة العامة المصرية لقيادة سيناء .. وعلى ضوء ما حدث بعد هروب يوم ٢٩ أكتوبر فوق رمال سيناء هل نجحت قوة سيناء فى القيام بمهمتها وبواسطة قواتها المحدودة أمام تفوق اسرائيل تفوقا ظاهرا ؟ .. هل منعت اسرائيل من تحقيق مكاسب داخل سيناء ..

تساؤلات تجيب عنها المعركة .. وهذه كانت قصة الحرب .



مصلحة الاستعلامات
القاهرة



(Arab)

DT107

.83

.A3915



32101 073528125

وزارة الارشاد القومي
مصلحة الاستعلامات